تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

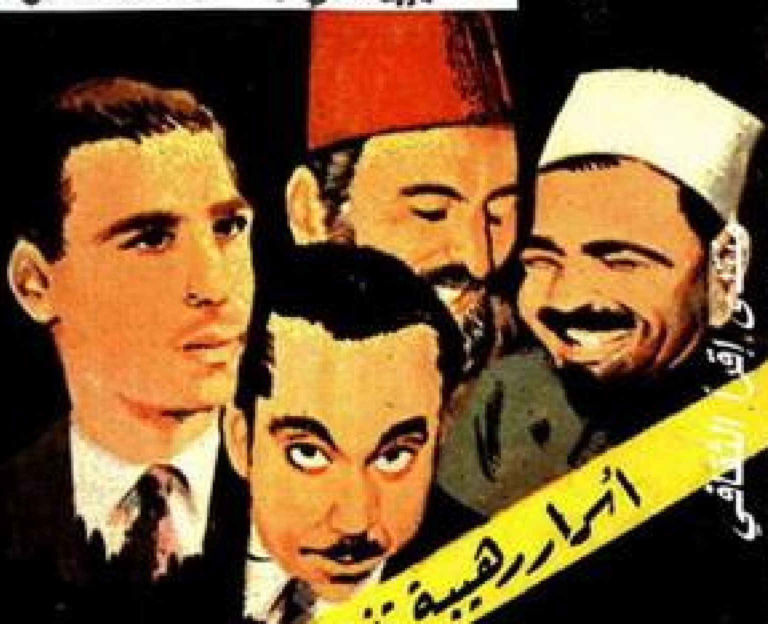

أسرار رهيبة تنشر لأول مرة

مذابح الإخوان في سجون ناصر

جابر رزق

www.iqra.ahlamontada.com

دار الاعتصام

جابر رزق

مذابح الإخوان في سجون ناصر

أسرار رهيبة تذاع لأول مرة

الطبعة الثانية
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء ...

إلى الشهيد محمد يوسف هراش

الذى أحببته

مقدمة

لم تعد « دعوة » الاخوان المسلمين .. و « جمـاعة » الاخوان المسلمين مجهولة للناس .. مسلمين او غير مسلمين .. فى مصر أو فى خارج مصر .. بل لقد اصبحت حقيقة من حقائق هذا الوجود ! .

واستطيع ان اقول ان « جماعة الاخوان المسلمين » تقف اليوم فى طليعة « الحركة الاسلامية » على مستوى العالم كله ان لم تكن هى ذاتها طليعة الحركة الاسلامية ..

ومنذ أن عرف أعداء الاسلام حقيقة دعوة الاخوان وادركوا مراميها وأهدافها وهم يتصدون لها فى خصومة شديدة .. وعداوة قاسية .. وحقـد أسود ويضعـون فى طريقها كل العراقيل .. ويوصدون امامها كل الأبواب .. واستعانوا فى ذلك بالرؤساء والزعماء وذوى السلطان وجندوا لذلك كل الحكومات فى محاولات يائسة للحد من نشـاط الجمـاعة وتعطيل مسيرة الدعوة .. وأثاروا حول الدعوة والجمـاعة غبار الشبهات .. ووجهوا لها اظلم الاتهامات وحاولوا ان يلصقوا بها كل نقيصه وأن يظهروها للناس فى ابشـع صورة

معتمدين فى ذلك على قوتهم وسـلطانهم ومعتـدين باموالهم ونفوذهم ..

وانزلت بالاخوان المحن .. فاعدموا .. وسـجنوا .. واعتقلوا وشردوا وصودرت أموالهم .. وعطلت اعمالهم .. وفتشت بيوتهم وطالت بهم المحن أكثر من ربع قرن من الزمان .

هـذه التجـربة .. كان لابد من تسـطيرها قدر الامكان لتستلهمها طلائع البعث الاسلامى الزاحفة علها تجد فيها زاداً يعينها على مواصلة السير .. فى طريق الجهـاد لاقامة دين الله فى الأرض ..

هذا هو قصدى الأول من هذا الجهد الذى اسـال الله ان يعيننى على اتمامه ..

اما قصدى الثانى الذى قصدت الوصـول اليه من خلال تلك الصفحات فهو ابراز حقيقة « المؤامرة على الاسـلام » ودور القوى العالمية .. صليبية .. ويهودية .. وشيوعية .. ووثنية وعملائهم داخل الوطن الاسلامى !!

ولم يكن همى ادانة جمال عبد الناصر فقد افضى الى ما قدم وأصبح عدما .. انما أردت أن أفضح القوى التى كانت بمثابة « المجرم الحقيقى » .. و « العقل المدبر » لكل محن الاخوان فى عهد عبد الناصر وما قبل عبد الناصر وانتى لا تزال وستظل تكيد للاسلام ولدعاة الاسلام حتى يظهر الله الحق ويمحق البـاطل ..

والله اسأل أن يثبتنا على طريقه حتى نلقاه غير ضالين ولا مضلين .. ولا مضيعين ولا مبدلين .. آمين .

* * *

الفصل الأول

لماذا أدخل الإخوان..
السجون والمعتقلات؟!

لماذا ادخل الاخــــوان
الســــجون والمعتقلات

لا يزال هذا السؤال بغير اجابة حقيقية حتى الآن ومثله مثل العديد من الأسئلة الغامضة التى تنتظر كلمة المؤرخ الموضـــوعى المنصف الذى تتاح له الحقائق كاملة ويدرك الظروف الحقيقية التى احاطت بالأحداث حتى تتضح له الحقيقة التاريخية خالية من الزيف والتزوير .. ان الحقيقة فى احداث الربع قرن المـــاضى لا تزال ضائعة ومطموسة ومجهلة عمدا .. ولكن يقينا سيأتى اليوم الذى تتكشف فيه حقيقة الأحداث ولكن ربما حدث ذلك بعد فوات الأوان وبعد أن تصبح الحقيقة لا أثر لها على الحاضر .

ولعل تاريخ جماعة الاخوان المسلمين بالذات يكتنفه الظـــلام والتجهيل والتزييف والتزوير أكثر من غيره .. لأن جماعة الاخوان المسلمين منذ حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ — وقد كشفت الحـــرب عن قوتهم — وحتى وقتنا هذا و « السلطة » وكل التيارات الفكرية والسياسة المضادة تقف منها موقف الترصد والتوجس وتبذل أقصى ما تستطيعه فى تشويه صورتهم فى نظر الناس .. فعل ذلك ابراهيم عبد الهادى سنة ١٩٤٨ وحتى سقوط حكومته فى أوائل الخمسينات . وفعل ذلك بعده جمال عبد الناصر طوال فترة حكمه .. وحتى بعد وفاته !!

وبالرغم من أن الحقائق التاريخية التى تتصل بالاخوان المسلمين لا تزال ضائعة ومطموسة ومجهلة الا ان أجزاء من هذه الحقيقة قد أصبحت معروفة وأصبحت مادة تصلح للمؤرخ المنصف فى الاعتماد عليها لتبين وجه الحقيقة !!

لقد تام محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر السعدى بحل جماعة الاخوان المسلمين . كما فعل رجال الوفد ذلك من قبل وأصدر قرارا فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بحل الجماعة واعتقال عدد كبير من أعضائها .. ونريد هنا أن نسأل ما الأسباب الحقيقية وراء هذا الحل ؟ !!

يقول الأستاذ شمس الدين الشناوى :

ــ « لقد كانت بطولة الاخوان المسلمين فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ مثار دهشة العالم أجمع ومثار خطر داهم على الكيان الصهيونى وقيام دولة اسرائيل وليس هذا الكلام تحيزا للاخوان او تعصبا لدعوتهم . فقد شهد بذلك ضباط الجيش المصرى فى حرب فلسطين أمام محكمة الجنايات التى كانت تنظر قضية « السيارة الجيب » التى اتهم فيها نفر من شباب الاخوان المسلمين بمحاولة قلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة (وهى نفس التهمة التى وجهها عبد الناصر وغيره للاخوان فى كل مرة !!) .

وقد شهد اللواء احمد على المواوى بعد أن أقسم اليمين القانونية أمام المحكمة « انه كان يستعين بالمتطوعين من الاخوان المسلمين كطلائع للجيش وكقوة حقيقية تعمل على جانبه الأيمن فى الناحية الشرقية . وكانوا يصلون الى النطاق الخارجى للمستعمرات اليهودية ويزرعون الألغام تحت الأسلاك الشائكة ويستعملونها فى تلغيم الطرق الموصلة الى المستعمرات اليهودية وقد نتج عن ذلك

خسائر كبيرة لليهود تقدم لى من جرائها مراقبوا الهدنة يشتكون من هذه الأعمال التى كانت تعمل وقت الهدنة ولم يكن عند الجيش المصرى الغام » . .

وشهد الصاغ محمود لبيب « بأن المتطوعين احتلوا فى ١٢ يوما العوجة والعسلوج وبير سبع والفالوجا وعراق المنشية وبيت جبريل والخليل وبيت لحم ودخلوا فى حدود القدس الجديدة وأصبح النقب جميعه تحت اشراف الاخوان المسلمين » .

وترتب على هذه الروح الفدائية القوية التى أظهرها الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين أن دب الرعب فى قلوب اليهود وخشى الانجليز الذين كانوا يحتلون منطقة القناة بعد انتهاء حرب فلسطين فرأوا أنه لابد من القضاء على الاخوان المسلمين وتغيييبهم عن الميدان !!

وقد استطاع الأستاذ محمد شمس الدين الشناوى الحصول على وثيقتين بريطانيتين . تقول الوثيقة الأولى أنه « فى ١٠/١١/١٩٤٨ اجتمع سفراء انجلترا وامريكا وفرنسا فى فايد وقرروا اتخاذ الاجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الاخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قد قام بها أعضاؤها وارسلت هذه الافادة الى رئيس المخابرات تحت رقم ١٣ فى ١٣/١١/١٩٤٨ وترجمة الوثيقة كالآتى :

الموضوع اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وامريكا وفرنسا فى فايد ١٠/١١/١٩٤٨ .

رقم القيد ١٨٤٣/اس/٤٨ . التاريخ ١٣/١١/١٩٤٨ .

الى رئيس المخابرات رقم ١٣

« فيما يختص بالاجتماع الذى عقد فى فايد فى ١٠ الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا أخطركم أنه ستتخذ الاجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الاخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاؤها » .

امضاء

(ج. د. اوبريان ماجور)

وفى ١٩٤٨/١١/٢٠ ارسل رئيس ادارة المخابرات فرع « أ » بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط الى ادارة المخابرات ج. س - ١٣ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر خطابا هذه ترجمته الحرفية :

الموضوع : جمعية الاخوان المسلمين :

رقم القيد : ١٦٧٠/ أ ن ت / ٤٨ - ١٩٤٨/١١/٢٠ الى ادارة ج - س - ١٣ .

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر والشرق الأوسط :

١ - بخصوص مذكرتكم رقم ٧٣٤ / أ ن ت / ب / ٤٨ المؤرخة فى ١٩٤٨/١١/١٧ .

٢ - لقد أخطرت هذه القيادة العليا رسميا من سفارة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة أن خطوات دبلوماسية ستتخذ بقصد اقناع السلطات المصرية بحل جمعية الاخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن .

٣ ـ فيما يتعلق بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الاجانب المقيمين بمصر فقد أرسلت لوزارة الخارجية للعلم ..

التوقيـــع
رئيس ادارة حرف ا
قيادة القوات البريطانية
فى الشرق الأوسط
كولونيل : ا. م. ماك درموت

وبناء على ذلك أبلغت السفارة البريطانية النقراشى بهذا القرار المطلوب وهو حل جماعة الاخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن وكان ذلك مصحوبا بتبليغ شفوى بأنه فى حالة عدم حل الاخوان فستعود القوات البريطانية الى احتلال القاهرة والاسكندرية .

* * *

وطلب النقراشى الى عبد الرحمن عمـــار وكيل وزارة الداخلية وقتئذ وساعد النقراشى الأيمن ـ ان يعد مذكرة تبرر حل جماعة الاخوان حتى يبدو الحل وكأنه اجراء مصرى لا دخل للانجليز فيه تغطية لموقف النقراشى العـــام وبنـــاء على المذكرة التى كتبها عبد الرحمن عمار اصدر النقراشى قرارا بحل جماعة الاخـــوان المسلمين ومصـــادرة أموالهـــم وأملاكهـــم وشركاتهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومصانعهم وصدر القرار الساعة ١١ مساء يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ واعتقل الاخوان الموجودون بالمركز العـــام وترك الامام الشهيد حسن البنا الذى منع من الصعود الى السيارة مع بقية الاخوان المعتقلين .. وربما كان هذا الأمر ـ وهو ترك الامام الشـــهيد ـ دون اعتقاله غامضـــا ولكن ثبت من قضـــية

استشهاده أن النية كانت مبيتة لاغتياله لأنهم لو لم يكونوا ينوون قتله لكان هو أول من اعتقلوه !!

وننقل هنا خلاصة ما انتهت اليه المحكمة فى قضية اغتيال الامام الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان المسلمين وأول مرشد للجماعة ـ تقول أوراق القضية :

« لقد كانت جماعة الاخوان المسلمين بحكم نزعتهم الدينية فى مقدمة الناقمين على سياسة الملك السابق فاروق والناقدين جهرا لمسلكه الشخصى . فاستشعر ريح الخطر تهب عليه من ناحيتهم خصوصا بعد أن اشتد ساعدهم وانتشرت دعوتهم واعتنقتها الألوف المؤلفة من المواطنين واخذوا يعلنون فى مبادئهم أن الاسلام دين ودولة وأن الحكم فى شرعته بيعة يوليها الشعب لمن يصلح لها وليس ملكا عضودا يتوارثه الابناء عن الاباء فصح عزم الملك على مناواتهم والضرب على أيديهم وفكر فى سنة ١٩٤٧ فى حل الجماعة وأوحى بفكرته الى الوزارة القائمة بالحكم فوجد منها أذنا صاغية وتصادف أن وقعت بعض حوادث الاعتداء على الأفراد والقاء المواد المتفجرة على بعض الاماكن وجه الاتهام فى جانب منها الى افراد من جماعة الاخوان وحامت الشبهة حول آخرين منهم فى بعض التهم فاتخذت الحكومة من ذلك سلاحا لمحاربتهم واصدر الرئيس السابق الاستاذ محمود فهمى النقراشى بوصفه حاكما عسكريا عاما أمره فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بحل الجماعة استجابة منه فى المحل الأول لرغبة الملك » ..

« وزاد الملك السابق اقتناعا بفكرته ما ظهر به الاخوان المسلمون فى غضون ١٩٤٨ من مظاهر القوة والبأس وانهم يحرزون الكثير من الأسلحة بادروا الى استعمالها فى حرب فلسطين التى دخلوها

زرافات وفى شكل حملات منظمة فامتلأ فؤاده رعبا وعول على التخلص من مرشد الاخوان بقتله واخذ فى نفس الوقت يستزيد من الحراسة حوله ويتخذ من الاجراءات ما يعتقد أنه ضرورى لدفع غائلة الاخوان عنه وحمايته من عداوتهم على عرشه وشخصه » .
ونحن لا نرى راى المحكمة لأننا نعلم أن الملك فاروق كان مطية للانجليز وللأمريكان وانه اذا كان النقراشى قد نفذ رغبة الانجليز والفرنسيين والأمريكان فى حل جماعة الاخوان المسلمين فان ابراهيم عبد الهادى الذى خلف محمود فهمى النقراشى قد حقق رغبة عزيزة ليست لفاروق فحسب ولكن ايضا للأمريكان وللانجليز وللفرنسيين وحقق ثأرا للسعديين الذين طالبوا بقتل الامام الشهيد حسن البنا انتقاما لقتل النقراشى بأيدى الاخوان وليس ادل على ما ذهبنا اليه من ان ابراهيم عبد الهادى حقق مخطط أمريكا وفرنسا بقتل الامام الشهيد حسن البنا من تدخل أمريكا رسميا عندما حوكم ابراهيم عبد الهادى أمام محكمة الثورة ووجهت له تهمة الخيانة العظمى وصدر الحكم عليه بالاعدام فطلب تخفيف الحكم . ونترك الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى كتابه « وراء الأسوار » حيث يقول فى ص ١٤٧ من كتابه فى الطبعة الرابعة « ومن المؤكد أن الحكومة الأمريكية كانت تعتبر جماعة الاخوان المسلمين من الهيئات غير المرغوب فيها بدليل أن محكمة الثورة حينما حكمت على رئيس الوزراء الأسبق ابراهيم عبد الهادى آخر رئيس للحزب السعدى بالاعدام ابلغت الحكومة الأمريكية سفارتنا فى واشنطن أنها ترى أنه لابد من تخفيف الحكم لأنه ليس من المعقول أن يحكم بالاعدام على الرجل الذى واجه الاخوان المسلمين بشجاعة . وقد قام السفير المصرى فى أمريكا الدكتور أحمد حسين بابلاغ جمال عبد الناصر نص هذا الاحتجاج تليفونيا وفى اليوم الثانى خفف مجلس الثورة الحكم وأبدله بالأشغال الشاقة المؤبدة » انتهى .

* * *

واستمرت محنة الاخوان التي بدأت على يد النقراشي واشتدت ضراوتها على يد ابراهيم عبد الهادى الى سقوط حكومة ابراهيم عبد الهادى فلم يبق فى السجن من الاخوان الا الذين حكم عليهم فى القضايا .. وبدأ الاخوان يعودون الى نشاطهم شيئا فشيئا حتى جاء الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى اكتوبر ١٩٥١ وبدأت معارك القنـــاة التى كانت متنفسا للاخوان .

يقول حسن دوح الزعيم الطلابى .. فى جامعة القاهرة :

« واقول ان جماعة الاخوان كانت فى سنة ١٩٥١ تحاول أن تسترد نشاطها وتجدد نفسها بعد محنة ١٩٤٨ والتى انتهت باستشهاد مرشدهم الأستاذ حسن البنا ثم انها كانت تعيش تجربة قيادة من لون جديد وصيغة جديدة .. قيادة صامتة هادئة تتمثل فى المستشار الأستاذ حسن الهضيبى والذى كان يلتزم بأســـلوب القاضى فى معالجته للقضايا التى تعرض لها والرجل لم يكن متطلعا الى منصبه الجديد بل قبله بعد رجاء من قادة الاخوان » .

«ونحن بسبيل التعرض لموقف الاخوان من حرب سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٢ وقبل أن ننتهى من تحليل موقف الاخوان لا ينبغى أن ننسى اثر حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فى أحداث حرب القناة ويكفينى ان اقول ان حرب ١٩٥١ كانت امتدادا لمـــا جرى شرق القنـــاة فى فلسطين فالذين تولوا القيادة والتدريب وممارسة العمل فى القناة هم من خريجى حرب ١٩٤٨ .. لقد كان الاخوان المسلمون أصحاب اكبر دور فى معارك القناة ويرجع هذا لعدة أسباب لم تتوافر لغيرهم ذكرنا منها سابق تدريبهم فى حرب فلسطين ثم حافزهم الاسلامى الذى أعطاهم طاقات رائعة ضربت أروع الامثال فى فلسطين فاذا اضفنا لكل هذا التنظيم الدقيق الذى أبدع فيه ايما ابداع الشهيد حسن البنا لقلنا انه كان طبيعيا ان يأخذ الاخـــوان مكان الصدارة فى الحركة الوطنية برغم الصعوبات الكبيرة التى كانوا يواجهونها من مختلف الحكومات .

لقد كانت معارك القنـــاة برهانا ساطعا على صدق واخلاص الاخوان الذين عانوا أعواما طويلة من الدعاية المركزة ضدهم فوجد شباب الاخوان الفرصة ليثبت قدرته على الحركة والعمل بعد نكسة فلسطين فاستغل الشباب فرصة الغاء المعاهدة فبادر الى استعمال السلاح لتحقيق الجلاء المنشود بعد أن صار وجود القوات البريطانية فى القناة لا يستند الى قانون .

ولقد كانت بطولات الاخـــوان على أرض القناة بنفس الروعة التى ظهرت بهـــا بطولاتهم على أرض فلسطين ولئن كانت الحرب الفلسطينية قـــد كشفت عن خطـــورة الاخوان على المخططـــات اليهودية والصليبية فى المنطقة فان معارك القناة قد أفزعت امريكا وانجلترا من احتمال قيام ثورة يقودها الاخوان .

فأحرقت القاهرة ليخفى دخانها روعة وعظمة الحركة الوطنية المسلحة التى يقودها الاخوان المسلمون على ضفاف القناة وتكون مبررا لتصفيتها » ..

ويقول حسن دوح فى كتابه صفحات من جهاد الشباب المسلم .

أذكر اننى التقيت بالدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية فى حكومة الوفد بعد حريق القاهرة .. قال لى الرجل :

« انك لا يمكن أن تتصور مدى الكسب الذى أحرزناه فى أوروبا وأمريكا بعد معارك القناة والتل الكبير بالذات ولكن خسرنا الكثير بعد حريق ٢٦ يناير الذى شوه بدخانه سمعتنا فى الخارج » .

وقال لى الدكتور صـــلاح الدين فى لقاء آخر وهو يشير باصبعه الى القارة الأمريكية : ان الولايات المتحدة هى المتهم الأول فى احراق القاهرة !

فقلت له : « ان الامر يحتاج الى ايضاح أكثر » .. قال :

ــ إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت المحرك الأول للاحداث التى جرت قبل وبعد حريق القاهرة ويرجع السبب فى هذا الى عدة أمور منها :

ان أمريكا أرادت تصفية النظم الديمقراطية فى مصر حتى يتسنى لها ضرب الحركات الوطنية .

ولقــد كانت معارك القنــاة وليس ــ حريق القاهرة ــ هو السبب فى التعجيل بحركة الجيش فبدلا من قيامها فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ قامت فى ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ــ وكانت يد المخابرات الأمريكية قد نسجت خيوط اللعبة وبدأت تحرك الدمى على مسرح الأحداث !

* * *

تمثيلية .. حادث المنشية

ولقد خدع بعض الاخوان فى رجال حركة الجيش وظنـــوا انهم صادقون فيما تعاهدوا عليه من سلوك طريق الاسلام ولكن المرشد العام المرحوم حسن الهضيبى لم يطمئن لحظة لجمال عبد الناصر ، الذى حاول أن يستقطب بعضا من الاخوان ويخترق « الصف » المسلم ويشعل فتيل الفتنة .. حتى تتفجر الجماعة من الداخل قبل أن يوجه لهـــا ضربته القاصمة سنة ١٩٥٤ . وحتى يبرر عبد الناصر ضربته لجماعة الاخوان وتصفية حركتهم دبرت أجهزة أمنه تمثيلية حادث المنشية . يقول اللواء محمد نجيب فى حديث له فى مجـــلة « اقـــرأ » السعودية :

« هناك فى مكتبى قرأت الصحف الصادرة فى الصباح فاذا بها تزخر بأخبار مختلقة تماما عن ثبوت اتصالى بمؤامرة الاخـــوان المسلمين على حياة جمال عبد الناصر .. هنا أقطع سياق كلامى لأعلن لأول مرة فى التاريخ سرا من أدق ما يمكن من أسرار ثورة ٢٣ يوليو وهو أن مؤامرة اطلاق الرصـــاص على عبد الناصر فى الأسكندرية كانت مؤامرة وهمية من أولها لآخرها وكانت مرتبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة فى مصر كوفىء على ذلك

فيما بعد بمنصب كبير واستؤجر فى هذه المؤامرة شاب مصاب بجنون العظمة واغرى بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة مالية ضخمة ويسمح له بالهجرة الى البرازيل وقد كانت المكافأة الوحيدة التى تلقاها هى اعدامه بدلا من تهريبه كما وعدوه حتى يموت ويموت السر معه . ولما كتب الأستاذ عباس الأسوانى مقالا فى جريدة تعاون الطلبة عن « عبد الناصر وحادث المنشية » اشار فيه الى كلام اللواء محمد نجيب ، كتب اللواء طيار متقاعد عبد الحميد الدغيدى تعليقا نشرته جريدة التعاون تحت عنوان « هذا رأى فى حادث المنشية » قالت فيه أثيرت ردود فعل مختلفة بعد نشر مقال عبد الناصر وحادث المنشية الذى نشر فى عدد سابق بالملحق السياسى وقد علق اللواء متقاعد عبد الحميد الدغيدى بقوله :

« ذهبت مع السيد حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة السابق لمعاينة شرفة مبنى بورصة الأسكندرية سابقا ومقر الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى بالأسكندرية حاليا فقد كان من المقرر ان يلقى رئيس الجمهورية السابق محمد نجيب خطابا سياسيا من هذا المكان . واتضح لنا من المعاينة أن السور المحيط بالشرفة عال بحيث طلبنا من قائد المنطقة الشمالية وقتئذ اعداد ما يقف عليه محمد نجيب أثناء القاء الخطاب ليشاهد الناس ويشاهدوه هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى فقد جمعنى مجلس عقب اطلاق الرصاص بميدان المنشية على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع النائب العام الأسبق الأستاذ سليمان حافظ الذى اشرف على التحقيق مع المتهم فسألته هل عاينت مكان الحادث ؟ فأجاب بالنفى ثم استطرد قائلا : ولكن المتهم اعترف .. وللتاريخ والانصاف اقول ان أى

فرد أو جماعة كانت تدبر حادث الاغتيال المشار اليه ما كانت تختار ذلك المكان لتنفيذ خطتها فسور الشرفة كما أوضحت لا يسمح بدقة التصويب خاصة وأن الذى سبق لهم الاستماع الى خطب بميدان المنشية ما كانوا يرون الرئيس الراحل بوضوح الا على بعد يزيد على الثلاثمائة متر وتلك المسافة تخرج عن المرمى المؤثر لاطلاق المسدس كما أن الجمهور المتزاحم حول المقدم على الاغتيال لا يسمح له باتخاذ وضع التنشين على الهدف بالدقة والسرعة المطلوبة . صحيح أنه حدثت اصابات نتيجة اطلاق الرصاص لكن الواضح أنه اطلاق رصاص طائش مما يوحى بأنه لم تكن هناك خطة جادة للاغتيال ولكن خطة لأمر آخر ! » انتهى كلام اللواء الدغيدى .

وقد روى لى الأستاذ معروف الحضرى المجاهد الكبير الذى عرفته أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ وأحد الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو وأحد ضحايا الثورة قال :

ــ لقد سمعت من المقدم أحمد الجميعى (مقدم بوليس سابق) وأحد الذين تولوا قيادة المباحث الجنائية بمدينة الأسكندرية حتى عام ١٩٦٩ .. انه كان ضابط شرطة قسم المنشية ليلة مسرحية الاعتداء على جمال عبد الناصر وكان موجودا أسفل المنصة عندما قام أحد ضباط الصف بالبوليس باطلاق الأعيرة النارية على جمال عبد الناصر فقام بالقبض عليه وتحريز المسدس واقتاده بالقوة الى قسم بوليس المنشية وفى أثناء تحرير المحضر القى القبض على أحمد الجميعى نفسه ونقل فورا الى مدينة الفيوم وبناء على نفس المحضر ، وأطلق سراح الأمباشى البوليس وبقى أحمد الجميعى منفيا فى الفيوم لمدة سبع سنوات متتالية . ومنع من دخول الأسكندرية خلال تلك الفترة .

ويضيف معروف الحضرى :

ـــ من الثابت أن الذى أطلق الرصاص لم يكن محمود عبد اللطيف كما ادعى جمال عبد الناصر ومجموعته وأن الأمر كان مدبرا لالصاق الحادث بالاخوان المسلمين للتخلص منهم . ولم يكن الغرض هو التخلص من الاخوان المسلمين فقط بل والتخلص من محمد نجيب ايضا واعتقاله هو الآخر .

والمتأمل للحادث يجد ان هناك تمثيلية كبرى .. فهل من الممكن اصابة جمال عبد الناصر من ارض الحفل المعد سابقا بطلقة من مسدس ؟! لو أن هذه العملية من تدبير جماعة الاخوان وهى الجماعة التى خاضت حرب فلسطين وحرب القناة .. وقامت بعمليات عسكرية ناجحة فهل كانت ستترك لشخص واحد يقوم بالعملية ؟! لقد وجد مسدس محمود عبد اللطيف كما وجد مسدس آخر سلمه آدم حديوى الذى حمله وسافر به الى القاهرة على قدميه وسلمه لجمال عبد الناصر الذى أعطاه مائة جنيه مكافأة له على ذلك ونشرت الصحف صورته مع جمال عبد الناصر فما معنى وجود المسدسين ؟! لقد ذكرت الجرائد عن وجود مسدسين فى مسرح الجريمة .

ويضيف الأستاذ معروف الحضرى :

ـــ اما هنداوى دوير ومحمود عبد اللطيف فقد عاشرتهم فترة طويلة لا تقل عن شهر قبل اعدامهما وأحب أن أثبت أنهما كانا يتمتعان بكل صحة وسعادة حتى أن ملابسهما الداخلية والخارجية كانت تأتيهم من خارج السجن الحربى يوميا مكوية ومطبقة .. فى الوقت الذى كسرت فيه جمجمة الشهيد الشيخ محمد فرغلى وقتل الشهيد ابراهيم الطيب قبل شنقه .. والغريب أن هنداوى دوير

كان قد وعده عبد الناصر نظير ذهابه الى الأسكندرية ومعه محمود عبد اللطيف بالمركز العظيم ولذلك عندما وصلت عنقه لحبل المشنقة صاح قائلا : هذا ما لم نتفق عليه !

وراح بسره كما يقول الرئيس محمد نجيب . انتهى .

وقد روى لى الأستاذ مختار عبد العليم المحامى وأحد الشخصيات الاخوانية البارزة وقت الحادث فى مدينة الأسكندرية ان الذى أطلق الرصاص على جمال عبد الناصر عسكرى بوليس من بلدة الشيخ أحمد حسن الباقورى !

وحكى لى الأستاذ أحمد حسنين أحد الاخوان المسئولين : انه التقى فى السجن الحربى بالشهيد يوسف طلعت والشهيد ابراهيم الطيب .. سأل الأستاذ أحمد حسنين الشهيدين عن الحادث فقالا له انه لا علم لهما بالعملية اطلاقا ويقول الحاج عباس السيسى أحد العسكريين الذين كانوا معتقلين بالسجن الحربى منذ اعتقالات مارس سنة ١٩٥٤ : « حينما قامت حركة مارس .. أفرجت الدولة عن الاخوان جميعهم وعلى رأسهم فضيلة المرشد المرحوم حسن الهضيبى واعتذرت الحكومة عن حل الاخوان على صفحات المصرى وزار عبد الناصر وصلاح سالم المرحوم حسن الهضيبى فى منزله واعتذرا له وتم الافراج عن جميع الاخوان ولم يفرج عن العسكريين من الاخوان وبعد فترة أفرجوا عن جميع العسكريين عدا أربعة من الصولات وهم الحاج عباس السيسى — ومحمد الجبالى — ومحمد عيسى — ومحمد ابراهيم حسن . وحولوهم من سجن الأجانب الى السجن الحربى .

وبعد أن قضينا عدة شهور فوجئنا بنقل مدير السجن الحربى وحل محله الرائد حمزة البسيونى وكان فى السجن فى هذا الوقت

معنا السادة الدكتور حملى مراد واحسان عبد القدوس واسماعيل الحبروك وحنفى شريف واحمد فهمى خطاب ..

بدا حمزة البسيونى فى اعداد السجن الحربى فاضـــاء جميع الزنازين بالكهرباء وعمل تخطيطا جديدا وتكتيكا جديدا فى الحراسة وغير موقع الذخيرة والسلاح واقام دورة مياه خارجية ، واحسسنا ان السجن يعـــد لاســـتقبال آلاف من الناس وقد اخطرنا نحن العسكريون داخل السجن الحربى فضيلة المرشد العام من باب الاحتيـــاط .

ويضيف الحاج عباس السيسى :

ـــ قبل حادث المنشية بحوالى شهر أو أكثر القى القبض على الأخ محمد عاكف والسيد عبد الله الريس واستعمل معهم أقسى الوان التعذيب وبعد فترة جاءوا بمجموعة من الاخوان العسكريين (صف ضباط) من جميع الأسلحة وعذبوهم عذابا شديدا .

وفى يوم حادث المنشية وكانت الاذاعة موجهة فسمعنا بالحادث واختلفت الآراء بين الموجودين عن مصـــدر هذه الطلقات ولكن ما أدهشنا أنه لم تمض ساعة زمن حتى وجدنا أن جهنم قد فتحت فى السجن الحربى وضج المكان بالصراخ والآهات من التعذيب وبدات مذبحة السجن الحربى الأولى التى لم يسبق لها مثيل فى بلاد العالم .. وامتلأ السجن الحربى بالاخوان .

ويقول الحاج عباس السيسى :

ـــ اما من الناحية الفنية فانه من المعلوم انه كان هناك اخـــوان مسلمون فى الأسكندرية فلو كان الاخوان المسلمون يريدون اغتيال عبد الناصر وهم بلا شك كانوا يقدرون ويدركون خطورة الفشـــل

فى هذا الأمر .. خطورته على الدعوة وخطورته على الجماعة خاصة وقد أدركوا خلال الأشهر السابقة تربص عبد الناصر بهم وأنه يريد أن يتخلص منهم بشكل أو بآخر . فلو كانوا حقا يريدون التخلص منه لكان الاخوان بالأسكندرية أولى بالعملية ولأعدوا لها الامكانيات والاحتياطات التى تضمن لهم تحقيق هدفهم فليس من المعقول أن تكون هذه « التمثيلية » الهزيلة خطة جماعة منظمة لها تاريخها العسكرى فى فلسطين وعلى ضفاف القناة وفيها القادة الذين دوخوا قوات الاحتلال الصهيونى والبريطانى واستطاعوا أن يحققوا انتصارات أذهلت قوى العالم أجمع .. هل يتصور عقل أن يضع الاخوان المسلمون خطة اغتيال لجمال عبد الناصر بمسدس من على بعد ٢٠ مترا كما قيل فى التحقيق وهل يستطيع انسان أن يحسن التصويب وسط الجماهير الغفيرة ؟! لو أراد الاخوان اغتيال عبد الناصر لأعدوا للأمر عدته وقدروه قدره ولما جاءت العملية هزيلة بهذا الشكل وعندهم من الرجال المدنيين والعسكريين ما يجعلهم فى غنى عن حضور واحد مثل محمود عبد اللطيف من القاهرة ليضرب عبد الناصر فى الأسكندرية ! لقد ثبت فى الصحف أن هناك مسدسين ضبطا على مسرح الجريمة المسدس الأول ضبط مع محمود عبد اللطيف وثبت أنه لم يطلق منه أية رصاصة .. والمسدس الثانى هو الذى حمله المواطن آدم حديوى وسلمه الى جمال عبد الناصر بنفسه وأعطاه مائة جنيه مكافأة له ونشرت الصحافة صورته وهو يسلم المسدس لجمال عبد الناصر ونجحت التمثيلية .. واستثيرت مشاعر الجماهير ضد الاخوان ودبر حريق المركز العام للاخوان المسلمين واعتقل الاخوان وزج بهم فى السجن الحربى وكانت مذبحة لم يشهد لها مثيل حتى ولا فى محاكم التفتيش . يقول الأستاذ معروف الحضرى وكان قد ألقى عليه القبض وزج به فى السجن الحربى — يقول وكضابط جيش حضرت السجن الحربى سنة ١٩٥٤ وبحضور

السيد رشاد مهنا شخصيا والمقدم حسن الدمنهورى نشهد أمام الله أن العملية كانت مجزرة وكانت ابادة فعــلا للجمــاعة وكان جمال عبد الناصر يحضر هو شخصيا الى السجن الحربى وكذلك جمال سالم وعلى صبرى وآخرون حتى يروا ويتلذذوا بالتعذيب الذى وقع على كل افراد الجماعة وقدم عبد الناصر الى المحاكمة اكثر من ٨٠٠ من الاخوان أخذوا جميعا احكاما بين الخمس سنوات والخمسة والعشرين سنة ..

ونفذ حكم الاعدام فى الشهيد عبد القادر عوده والشهيد الشيخ محمد فرغلى والشــهيد يوسف طلعت والشــهيد ابراهيم الطيب والشهيد هنداوى دوير والشهيد محمود عبد اللطيف ..

وبقى الاخوان المسلمون فى سجون مصر من ١٩٥٤ وكان آخر من خرج منهم فى ابريل ســـنة ١٩٧٥ بعد أن أمضوا ما يزيد عن العشرين عاما داخل السجن وهو الأمر الذى لم يحدث لأى مجرم من المجرمين !

ولم يكتف جمال عبد الناصر بسجن الاخوان ولكنه عن طريق اجهزته سام الاخوان أشد العذاب وأقام لهم مذبحة سجن طرة التى استشهد فيها ستة وعشرون من الاخوان . وبذر فى صفوفهم الفرقة .. وحرص على تمزيق صفهم وفتنهم عن دينهم حتى أسف عدد منهم ولكن بقيت — بالرغم من كل ذلك — الفئة المؤمنة الصلبة الثابتة على الحق .

لقد كانت ضربة الاخوان سنة ١٩٥٤ بداية لصعود نجم جمال عبد الناصر وكانت الفترة ما بين سنة ١٩٥٤ ، سنة ١٩٦٥ ازهى سنين عمره وحكمه لقد استطاع عبد الناصر ان يسلب النــاس

ارادتهم وزرع الخوف فى قلوبهم من هول ما سرب من معلومات عن صور التعذيب داخل السجون والمعتقلات .

لقد حرص عبد الناصر على أن يحكم قبضته على الشعب المصرى ببعض المحاكمات العسكرية واستغل حوادث تعـذيب الاخـوان لارهاب كل من تحدثه نفسه بالمعارضة واستقرت الأمور لجمال عبد الناصر .. ولكنه لم يغفل لحظة عن الاخوان المسلمين وكانت أجهزة الأمن ساهرة فى مراقبة الاخـوان .. ولم تكن أجهـزة عبد الناصر وحدها التى تراقب نشاط الاخوان المسلمين فى مصر وترصد حركتهم بل لقد اعترف أحد الجواسيس الفرنسيين اثناء محاكمته ونشرت اعترافاته جريدة الأهرام انه كان يكتب تقريرا يوميا عن نشاط الاخوان المسلمين فى مصر خلال الأعوام الأولى من الستينات ..

وبعد مرور خمس سنوات على دخول الاخوان سجون مصر سنة ١٩٥٤ دابت أجهزة عبد الناصر (المباحث العامة) على فتنة الاخوان عن دعوتهم عن طريق الضغط داخل السجون والتلويح بالافراج عنهم اذا ما أيدوا عبد الناصر عن طريق كتابة « تليغراف » تأييد أو عن طريق كتابة ورقة تعطى لضابط المباحث الذى غالبا ما كان هو نفسه ضابط السجن .. وكان « تليغراف » التأييد هذا أو « ورقة التأييد » بمثابة « الزحليقة » التى تهوى بالأخ الى الهاوية وقد انتهى الأمر ببعض من فتنوا أن سمحوا لأنفسهم أن يعملوا جواسيس على الاخوان للمباحث العامة ..

وكانت هذه العملية لمحاولة تدمير وتمزيق لجسد الجماعة داخل السجون وكانت هذه أقسى صور محنة الاخوان داخل السجون !!

وبدأت فعلا عملية الافراج عن بعض هؤلاء الذين تخلوا من

دعوتهم وفتنوا عن فكرتهم بعد أن اصبحوا حطاما بشريا . بدأت عملية الافراج هذه اواخر ١٩٥٩ .. وأوائل الستينات وايضا أفرج عن الاخوان الذين حكم عليهم بالسجن ٥ سنوات وثبتوا حتى نهاية مدتهم ولم يكن عبد الناصر قد تفتق عقله بعد عن فكرة اعتقال المسجونين بعد قضاء فترة العقوبة المحكوم عليهم بها كما فعل بعد عام ١٩٦٥..

واستمرت عمليات الافراج عن الاخوان ممن أمضوا مدة العقوبة وممن فتنوا عن دعوتهم وفى مايو سنة ١٩٦٤ أفرج عن الشهيد سيد قطب وعن الشهيد محمد يوسف هواش بعد الشهيد سيد قطب بأيام من نفس العام افراجا صحيا حيث كان قد حكم على الشهيد سيد قطب بالسجن خمسة عشر عاما وكذلك الشهيد هواش .. وقد امضيا الاثنان فترة العقوبة فى مصحة ليمان طرة لمرضهما بالذبحة ومرض الصدر ..

اريد ان اقول انه حتى النصف الثانى من عام ١٩٦٤ كانت عملية الافراج عن الاخوان المسلمين تتم ولكن معظم المفرج عنهم هم الذين استطاعت المباحث العامة أن تحطمهم بفتنتهم عن دينهم .. وتخليهم عن جماعتهم .. بل وتخليهم عن أخلاقهم .. حتى أن الأمر قد وصل بأحدهم انه كتب طلبا لادارة سجن القناطر يطلب أن يغير دينه الى النصرانية !!.. حتى يرضى جهاز المباحث لتفرج عنه !!.

واكثر من ذلك انه قد اشيع ان عبد الناصر فى سبيله للافراج عن بقية الاخوان المسجونين وهم الذين كان قد حكم عليهم بالسجن لمدة خمسة عشر عاما .. او خمسة وعشرين عاما .. خاصة وفى عام ١٩٦٤ حين زار خروشوف مصر افرج عبد الناصر عن جميع الشيوعيين المحكوم عليهم قبل أن تطأ قدما خروشوف ارض مصر !!

ولكن بعض الاخوان المسجونين لمـا علموا بهذه الاشاعة أيقنوا انها مجرد اشاعة لتغطية انصياع عبد الناصر لاوامر موسكو ...

وحتى أواخر سنة ١٩٦٤ لم يكن لدى جهاز المباحث العـامة ما يجعلها توقف عملية الافراج عن الاخوان المسلمين الى منتصف سنة ١٩٦٥ .. تقريبا حين بدأت المذبحة الثانية للاخوان المسلمين .. وهذا ما سأوضحه فى الفصل الثانى ..

الفصل الثاني

لماذا كانت مذبحة السجن الحربي ١٩٦٥

لمـــــاذا كانت مذبحـــــة

السجن الحربى عام ١٩٦٥

بدات احداث مذبحة الاخوان المسلمين فى السـجن الحربى وسجون مصر الأخرى (القلعة .. وابو زعبل .. وطرة) سنة ١٩٦٥ باعتقال الأستاذ محمد قطب يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٦٥ .. وجاء فى أقوال الشهيد سيد قطب :

— فى يوم ٢٩ او ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٥ اعتقل اخى محمد قطب وحضرت من رأس البر الى القاهرة يوم ٢ او ٣ اغسطس سنة ١٩٦٥ وكان البيت فى حلوان وفى راس البر قد فتش بحثا عن محمد مثل ما قالوا لى وذلك قبل اعتقال محمد بيومين ولمـا جئت الى القاهرة ارسلت رسالة للصاغ احمد راسخ بالمباحث العامة وسلمت الرسالة باليد لاستعلامات المباحث بواسطة ابن اختى رفعت بكر شافع او عزمى بكر شافع ومش فاكر من منهم وفى الغالب بعثتها مع عزمى كانت الرسالة احتجاج على اعتقال محمد دون أن نعرف اين مقره وعلى طريقة تفتيش العشة فى راس البر ومعاملتى معاملة قاسية وانا مريض ولم يحصل ضرب انما اللى حصل أن ضابط المباحث خبط على الشباك بعد نص الليل فلما فتحت امسك يدى ونط من الشباك ودخل وفتش وبالنظر لمرضى فأنا اعتبرت ان هذا الاجراء غير طبيعى وكان احتجاجى على هذين التصرفين .. وقلت

فى الرسالة ان برتراند راسل لما اعتقلته حكومته لمهاجمته لها كان معروف هو فين ودة ومحمد قطب مفكر وقارنته بالاعلان عن القبض على مصطفى أمين وقلت انه كان المنتظر اننا نحن عائلة محمد قطب ان نعرف مكان وجوده . وبعد حوالى خمسة ايام من تقديم هذه الرسالة فى يوم ٩ اغسطس اعتقلت انا .. » انتهى

كان اعتقال الاستاذ محمد قطب بداية محنة الاخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ .. واعتقال الأستاذ محمد قطب دليل على اتجاه الحكومة للبطش بالإخوان لأنه قد ثبت من تحقيقات النيابة أن الأستاذ محمد قطب ليس عضوا فى تنظيم الاخوان المسلمين الذى ادعت الحكومة اكتشافه بعد ذلك ولم يقدم الأستاذ محمد قطب الى المحاكمة وان كان قد بقى فى المعتقل أكثر من ست سنوات ..

وقد حدثنى الأستاذ محمد قطب اثناء طوابير التعذيب الجماعى الذى كان بمثابة عملية غسيل المخ التى اجريت على الاخوان المسلمين لمدة ٢٣ شهرا وحتى نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ التى انتهت مأساة السجن الحربى .. قال لى الأستاذ محمد فى أحد احاديثه ان أول اشارة للبدء فى محنة الاخوان المسلمين كانت ما نشرته احدى المجلات الأمريكية عن كتاب « جاهلية القرن العشرين » الذى الفه الأستاذ محمد قطب وكتاب « معالم فى الطريق » الذى الفه الشهيد سيد قطب وقد كتبت المجلة الأمريكية تحذر من الكاتبين والكتابين ووصفتهما بالتعصب ويعتقد الأستاذ محمد قطب ان « المخابرات الأمريكية » كانت وراء ما نشر فى المجلة الأمريكية ووراء ما حدث للاخوان المسلمين .

اما بخصوص القبض على الشهيد سيد قطب فقد اعتقل كما قال هو يوم ٩ اغسطس سنة ١٩٦٥ ولم يذهبوا به الى السجن

الحربى ولكن اعتقاله جاء نتيجة موجة الاعتقال التى استوعبت كل الاخوان الذين خرجوا من السجون بعد قضاء مدة العقوبة التى حكم بها عليهم عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ أو أفرج عنهم صحيا ..

اقول حتى هذا اليوم لم تكن اجهزة الأمن قد اعلنت أن هناك اى تنظيم للاخوان المسلمين ولم يكن السجن الحربى قد امتلأ بالاخوان بعد ولكن كانت قضية حسين توفيق ومن معه هى التى يحقق فيها بالسجن الحربى .. وكان معتقل القلعة الرهيب ومعتقل « ابى زعبل » ومعتقل الفيوم هى اماكن تجميع الاخوان المعتقلين .

وبدات عمليات التعذيب فى معتقل القلعة بطريقة همجية ووحشية ولقد ارتبطت مذبحة الاخوان المسلمين التى حدثت سنة ١٩٦٥ بالسجن الحربى ولكن الحقيقة ان السجن الحربى لم يكن التعذيب فيه رغم فظاعته وضراوته ولا انسانيته اكثر من التعذيب فى سجن القلعة وسجن ابى زعبل .. بل ان التعذيب الذى لاقاه الاخوان المسلمون فى سجن القلعة فى الفترة الأولى المحصورة بين تاريخ القبض على الأستاذ محمد قطب فى أواخر شهر يوليو سنة ١٩٦٥ وحتى يوم الاعلان عن التنظيم فى ١٧ اغسطس سنة ١٩٦٥ اشد هولا واكثر بربرية .

لقد روى لى الأخ سعيد احمد الراجى وكان من نزلاء سجن القلعة عندما التقيت به فى السجن الحربى ان شمس بدران كان يحضر الى سجن القلعة فى الفترة قبل الاعلان عن « التنظيم » ويطلب من ضباط المباحث العامة الذين يشرفون على عمليات التعذيب هناك انه يريد « تنظيما » للاخوان .. اى تنظيم وبأى ثمن !..

ولذلك كانت التحقيقات عشوائية مع أفراد المعتقلين وكان ضباط المباحث العامة مطمئنين انه لا تنظيم للاخوان المسلمين ولكنهم كانوا ينفذون الأوامر .. كانوا يبداون التحقيقات ليلا فكانت تفتح زنزانة او اكثر من زنازين سجن القلعة الرهيب ويسحب منها مجموعة من الأفراد حسب ما تقع ايديهم عليهم ويؤخذون ويعــذبون بطريقة همجية بربرية لانتزاع اى اعترافات .. وكانت أداة التعــذيب فى هذا المكان هى « الشومة » الغليظة لأن طائرة الكرابيج السودانية التى ارسلت لاحضارها خصيصا من لندن كما قيل لم تكن قد وصلت بعــد .. وكان الضرب على الجسم جميعه دون مراعاة للخطــر الذى يمكن أن يسببه الضرب .. صحيح أن الضرب بالكرباج قــد يكون عذابه الوقتي اقسى من الضرب بالشوم لأن الضرب بالكرباج « يلسوع » ولكن الضرب بالشوم المه لا يتوقف على وقت الضرب ولكن كان الألم الشديد فيما بعد لأن ارتطام « الشوم » بعظــام الجسم كثيرا ما كان سببا فى كسر العظام واحداث كدمات مفزعة فى الجسم وكان مألوفا جدا أن تجد أذرعا معلقة فى الرقبة او ترى رجالا يزحفون على مقاعدهم .

لقــد بدأت عمليات الاعتقــال كما قال الشــهيد ســيد قطب يوم ٢٩ أو ٣٠ يوليو سنة ١٩٦٥ باعتقال الأستاذ محمد قطب الذى لم تستطع النيابة .. وكان يهمها ويهم النظام كله أن تدين محمد قطب .. لم تستطع أن تثبت أن محمد قطب كان عضوا فى اى تنظيم واعتقل بعد ذلك جميع اخوان السجون الذين أفرج عنهم بعد قضاء مدة العقوبة أو أفرج عنهم افراجا صحيا .. دون أن يكون لدى اجهزة الأمن كلها سواء اكانت المباحث العامة وهى الجهاز المتخصص فى شئون الاخوان منــذ سنة ١٩٥٤ . أو المخابرات العــامة أو الشرطة العسكرية التى كانت خاضعة لشمس بدران أية ادانة

او اتهام ومن هنا كان شمس بدران يطلب ايجاد اى تنظيم ليجعل منه مبررا للمحنة التى أعدت للاخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ !! والتى بدا من واقع الأحداث أن الأمر كان مبيتا لادخال الاخوان المسلمين السجون مرة اخرى قبل حدوث المأساة التى حدثت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ !!

* * *

شهادة وزير الداخلية !!

وقد نشر ضياء الدين بيبرس تحقيقا صحفيا فى مجلة روز اليوسف فى العدد ٢٤٧٥ تحت عنوان : الصراع السرى بين المباحث والمخابرات جاء فيه تحت عنوان فرعى : « المخابرات تدبر مقلبا » يقول فيه :

«فى أوائل الستينات بدأت القصة المثيرة للحصار الذى فرضه شمس بدران وصلاح نصر حول عبد الناصر فى الفترة ما بين ١٩٦١ الى ١٩٦٧ وكيف أن هذا الحصار كان يستلزم أن يسقط جهاز وزارة الداخلية كاملا بما فيه المباحث العامة فى يد شمس بدران وصلاح نصر بينما كان عبد الناصر يؤمن بنظرية توازن الأضداد بين مراكز القوى حتى لا تستأثر قوة بالسلطة دون الأخرى » .

وكى يتم لهما السيطرة فقد كان لابد أن تتجمع فى أيديهما كل التحريات وكان لمدير المباحث العامة حق الاتصال مباشرة برئيس الجمهورية ثم تأكد هذا الحق لما أصبح المدير هو وزير الداخلية فى عام ١٩٦١ ولهذا فان تفكير شمس بدران وصلاح نصر هداهما الى انه لابد من تشكيك عبد الناصر فى جهاز البوليس كله لا عن طريق الادعاء بعجزه فحسب بل عن طريق التشكيك فى ولائه أيضا

ثم تكون الخطوة التالية هى أن يتولى منصب وزير الداخلية ضابط من المخابرات وهو ما حدث فعلا منذ سبتمبر سـنة ١٩٦٥ حتى حركة القضاء على مراكز القوى على يد أنور السادات فى ١٤ مايو سـنة ١٩٧١ .

وقد سنحت هذه الفرصة فى أغسطس ١٩٦٥ وكان معظم الوزراء فى الاسكندرية ومن المقرر ان يسافر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى اليوم التالى الى جدة للاجتماع بالمرحوم الملك فيصل وهو الاجتماع الذى أسفر عن اتفاقية جدة الخاصة بتصفية الوجود المصرى فى اليمن واذا بالمشير عبد الحكيم عامر وكان وقتها يحمل لقب النائب الأول لرئيس الجمهورية يستدعى عبد العظيم فهمى وزير الداخلية ويقول له :

ــ ماذا تفعل فى الاسكندرية وقد كادت القاهرة تقع فى يد انقلاب ينظمه الاخوان المسلمون ؟!.. ان المخابرات العامة أنقذت اعناقنا بأعجوبة من الشنق وانت ووزارة داخليتك نائمون فى العسل .. عندك طائرة فى مطار الدخيلة تنتظرك تركبها أنت وأعوانك فورا ومن مطار القاهرة الى مكتبك لتنظيم عملية تصفية المؤامرة !!

فقال عبد العظيم فهمى للمشير :

« سيادتك تشير الى تقارير ثبت أنها غير صحيحة ولا توجد مؤامرة اخوانية ولا حاجة وأنا مسئول » ..

فقال عبد الحكيم عامر :

ــ « وكمان بتكذب تقارير المخابرات ؟!.. على كل حال تأخذ الطائرة الى القاهرة الآن .. ولنا بعد ذلك كلام » ..

فقال عبد العظيم فهمى للمشير :

ــ ولكن الرئيس سيغادر الأسكندرية غدا الى جده وأمنه الخاص من مسئوليتى وهو رأس النظام ومن غير المعقول حتى اذا افترضنا أن هناك مؤامرة أن أترك رئيس الجمهورية فى الأسكندرية واسافر الى القاهرة .

فقال عبد الحكيم عامر :

ــ « هذا أمر .. » ..

وسافر عبد العظيم فهمى الى القاهرة بالطائرة واذا بشمس بدران يذهب الى الرئيس عبد الناصر ويقول له : ان وزير الداخلية ترك الأسكندرية تزخر بخلايا الاخوان المسلمين المتربصين لاغتيالك وللقضاء على النظام وذهب الى القاهرة لغرض غامض !!

وفى نفس الوقت تلقى الرئيس الراحل تقارير تعلن اكتشاف مؤامرة ناضجة لاغتيال كل الجهاز الحاكم والانقضاض على الحكم . وقالت التقارير أن وزير الداخلية لا يعلم شيئا عن هذه المؤامرة وطلبت التقارير النور الأخضر للمخابرات لتتحرك بحرية للقضاء على المؤامرة فان وزير الداخلية وكل أجهزة المباحث العامة نائمون فى « العسل » انتهى كلام ضياء الدين بيبرس .

وفى كلام ضياء الدين بيبرس فى تحقيق مجلة روز اليوسف شعاع من الضوء يؤكد جانبا من الحقيقة وهو أن المباحث العامة فى وزارة الداخلية حتى يوم سفر جمال عبد الناصر الى جده تؤكد على لسان عبد العظيم فهمى نفسه وزير الداخلية وراس جهاز المباحث العامة أن ضباط المباحث مطمئنون تمام الاطمئنان الى عدم وجود اى تنظيم للاخوان وان الشرطة العسكرية اتخذت عدم علم المباحث العامة بالتنظيم مجالا للسخرية من ضباطها وكانت كل وظيفة ضباط المباحث

العامة هى عمليات القبض والتفتيش دون أن يعرفوا سببا لذلك الا تنفيذ أوامر الشرطة العسكرية .

وكرد فعل للاهانة التى أحس بها ضباط المباحث وسخرية ضباط وصف ضباط الشرطة العسكرية منهم كان بعض ضباط المباحث العامة يقومون بعمليات القبض والتفتيش بطريقة روتينية ودون حماس وكانوا يستشعرون بأن الشرطة العسكرية قد نصبت لهـا شركا وأوقعتها وأقحمت نفسها فى موضوع ليس مجالا لنشاطها .

ولكن كان رد فعل « للمقلب » الذى أعدته الشرطة العسكرية للمباحث العامة من بعض الضباط من المباحث العامة شيئا فظيعا ومرعبا فاق فى بعض الحالات ما صنعته الشرطة العسكرية ولئن كان قد استشهد فى السجن الحربى محمد عواد أول شهيد فى السجن الحربى والشهيد الأمباشى اسماعيل الفيومى الحارس الخـاص لجمال عبد الناصر .. والشهيد محمد على عبد الله المدرس بمدرسة كفر شكر.. والشهيد محمد عبد العزيز منيب امين مكتبة كليـة العلوم بجامعة أسيوط ورفعت بكر ابن أخت الشهيد سيد قطب .. فلقد استشهد بوسائل التعذيب الهمجية على يد المباحث العامة زكريا المشتولى وبدر القصبى وعبد الحميـد البردينى وكثيرون غيـرهم !!

يقينا لم تكن المباحث العامة حتى يوم ٢٠ اغسطس سـنة ١٩٦٥ قد علمت بوجود أى تنظيم للاخوان المسلمين وكانت تقوم فقط بتنفيذ أوامر شمس بدران سواء بالقاء القبض على من يريد القبض عليه من الاخوان أو بالتعـذيب الهمجى فى سـجن القلعة للبحث عن « أى تنظيم » على حد قول شمس بدران نفسه !!

أما الشرطة العسكرية وعلى رأسها شمس بدران فلم تكن هى أيضا تعلم حتى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس سـنة ١٩٦٥

ان هناك تنظيما للاخوان المسلمين والدليل على ذلك طلب شمس بدران من ضباط المباحث العامة الذين كانوا يشرفون على المعتقلين فى سجن القلعة البحث عن أى تنظيم ٠

لقــد سبق القبض على الاخوان القبض على حســين توفيق ومجموعته ، والقبض على مصطفى أمين وكان من بين مجموعة حسين توفيق المهندس سامى عبد القادر الذى كان قد زار يوسف القرش فى قرية سنفا والذى ادعت السلطة حينذاك انها وجدت عنده القرش فى قرية سنفا والذى ادعت السلطة حينذاك أنها وجدت عنــده قنبلتين كان قــد احضرهمــا نسيبه صــول الصــاعقة عبد اللطيف شــاهين وكان قد باعهمــا ســالم شــاهين أخ عبد اللطيف شاهين ليوسف القرش — وهو من قدامى الاخوان — بعلبة سجائر !! رآهما المهندس سامى عبد القادر عند يوسف القرش وأثناء تعذيب سامى عبد القادر اراد ان يخلص نفسه من هول ما فيه فروى حكاية القنبلتين .. فانطلقت الشرطة العسكرية الى قرية سنفا لتقبض على يوسف القرش فلم تجده وقيل لهم انه فى القاهرة عند صديق له يدعى حبيب عثمان .. فذهبوا الى حبيب عثمان وقبضوا على يوسف القرش وحبيب عثمان ايضا !!. بل لم يكفهم يوسف القرش من قرية سنفا بل أخذوا ما لا يقل عن ثلاثين شابا من قرية سنفا وعندما ذهبت الى السجن الحربى كانت المجموعة التى القى عليها القبض من سنفا قد عذبت عذابا شــديدا ومزقت أجسادها بالسياط وكان صوت يوسف القرش وســالم شاهين الذى باع القنبلتين بعلبة سجاير يمزق السكون الرهيب الذى كان يخيم على السجن الحربى .. كانت كلمة ..

— يارب .. يارب ..

نداء يتردد صداه فى السجن الكبير فيمزق نياط كل من له قلب ..

قبض على حبيب عثمان لمجرد أن يوسف القرش كان عنده .. وبدأت عمليات التعذيب لحبيب عثمان دون ذنب .. ودون أن يتحدث عنه أحد بكلمة واحدة ولكن لا يوجد انسان دخل السجن الحربى وخرج منه دون تعذيب .. بالذات فى الايام الأولى .

واستمرت عملية التعذيب لحبيب عثمان صديق القرش الذى قبض عليه لا لشىء الا لانهم قبضوا على يوسف القرش صاحب القنبلتين من عنده .. وفى اغماءة من اغماءات حبيب تحت نير السياط قيل له « من هم اعضاء اسرتك » .

فقال حبيب ...

— هم .. فلان .. وفلان .. وذكر أسماء أعضاء أسرته ..

وقبض على افراد الأسرة .. وبدأت عمليات التعذيب الرهيبة لهم .. واعترف أحدهم أيضا ..

وذكر اسم رئيس الأسرة .. الذى اختفى من اللحظة التى قبض فيها على أعضاء الأسرة .. وباختفائه انقطع الخيط .. مرة ثانية ..

كان اعتراف حبيب عثمان وجوده نمرة فى أوائل الأسبوع الثالث من أغسطس .. ولكن سرعان ما انقطع الخيط الذى امسكوا به باختفاء « نقيب » الأسرة وزاد سعار شمس بدران وجهازه واكتظت المعتقلات بالمعتقلين .. وجدوا فى البحث عن الهاربين من المطلوب اعتقالهم .. وكان الشهيد عبد الفتاح اسماعيل مطلوب اعتقاله لانه كان ممن اعتقلوا سنة ١٩٥٤ وبقى فى السجن الحربى ما يقرب من سنتين ومنذ أن أفرج عنه فى ١٩٥٦ وهو يتحرك فى طول البلاد وعرضها على انه « تاجر » يبيع ويشترى فى كل شىء ..

ذهبوا الى قريته « كفر البطيخ » ليقبضوا عليه فلم يجـدوه .. وذهبوا عند أخيه المرحوم الشيخ على اسماعيل ليسألوا عليه فلم يجدوه فاعتقلوا الشيخ على وسألوه عن معارف الشيخ عبد الفتاح اسماعيل فعرفهم بمنزل المهندس فاروق الصاوى الذى كان يسكن بالمطرية فأخذوا فاروق معهم وسألوه عن الشيخ عبد الفتاح فنفى أنه يعرف مكانه وبعد أن استبقوه بعض الوقت أفرجوا عنه واعطوه رقم تليفون ليتصـــل بهم عندما يحضر عنـــده الشيخ عبد الفتاح .

وحتى هذه اللحظة لم تتقدم الشرطة العسكرية اية خطوة جديدة فى سبيل اكتشاف أى تنظيم ومعرفة أعضائهوكما قلت لم يكن طلب اعتقال الشهيد عبد الفتاح اسماعيل كان لسبب نشاطه السابق وموجة الاعتقال العام التى اتسعت حتى شملت جميع الاخوان الذين خرجوا من السجن .. وكل من عرف له نشاط سابق فى جماعة الاخوان . ولكن هروب الشيخ عبد الفتاح اسماعيل زاد شك شمس بدران فيه وبدأت عملية حصر للذين يتردد عليهم وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد عبد المقصود مأذون قرية البيضا القريبة من قرية سنفا فقبض عليه ليلة ١٤ اغسطس ١٩٦٥ ..

وهى ليلة زفاف ابنته الى عريسها الشيخ عبد الفتاح فايد الذى يقيم بالمطرية القاهرة فذهبوا اليه هو أيضا مع الفجر وحملوه مع صهره الى السجن الحربى ..

وبدأت عملية تعذيب بشعة سيرويها الشيخ محمد عبد المقصود فى فصل من فصول هذا الكتاب وكان نصيب الشيخ عبد الفتاح فايد من التعذيب مروعا فقـد جعلوا منه « مثلة » يرهبون به كل من لم يعترف واعترف الشيخ عبد الفتاح فايد بالذهاب الى مصيف راس البر وذكر من بين الذين حضروا المصيف مجموعة هم الدكتور

محمود عزت ابراهيم والدكتور مجدى عبد الحق والدكتور صلاح عبد الحق ومحمود فخرى وكانوا لا يزالون طلبة الثلاثة الاول فى كلية طب جامعة عين شمس والأخير طالب بكلية التجارة . والجميع دون العشرين .. وذهبت الشرطة العسكرية والقت القبض عليهم واحضرتهم الى السجن الحربى ..

وبدأت عملية التحقيق وكان أول الذين حقق معهم محمود فخرى صاحب الوصية التى نشرت فى الصحافة وقتئذ ..

رفض محمود فخرى أن يتكلم الا امام النيابة فقالوا له تكلم احسن لك .. والا سيكون مصيرك مثل مصير عبد الفتاح فايد ..

وفى هذه اللحظة كان حارسان يحملان عبد الفتاح فايد على نقالة .. فى صورة بشعة كان عبارة عن كتلة لحم مشوهة تزرع الرعب فى قلب كل من يراه وكان لمنظر عبد الفتاح فايد المروع أثرا عميقا فى نفس محمود فخرى .. فاعترف على اماكن لقاءات للاخوان ..

فاعترف بمعسكر بلطيم .. واعترف على الشهيد محمد عواد .. واعترف على شقة مرسى مصطفى مرسى بامبابة ..

وانطلقت الشرطة العسكرية الى قرية الزوامل لتحضر محمد عواد الذى حضر مصيف بلطيم وعندما وصل رجال الشرطة العسكرية للقبض على الشهيد محمد عواد ، وكان عند عواد مصطفى الخضيرى نقيب اسرة حبيب عثمان الذى هرب وبهروبه قطع الخيط الذى امسكت به الشرطة العسكرية .

واستطاع مصطفى الخضيرى ان يخرج بسرعة من منزل محمد عواد وافلت من أيدى الشرطة العسكرية .. ولكن الشرطة

العسكرية اعتبرت قبضها على محمد عواد ــ خاصة بعد ان حاول ان يهرب ــ صيدا سمينا ولكن الشهيد محمد عواد كان يعلم ان القبض على مصطفى الخضيرى اخطر كثيرا من القبض عليه هو نفسه لذلك راوغ .

وفى نفس الوقت كان الصاغ رياض ابراهيم وهو أعتى ضباط الشرطة العسكرية يصطحب محمود فخرى ليدله على شقة مرسى مصطفى مرسى فى مساكن امبابة وهى الشقة التى اتخذتها الشرطة العسكرية فخا لاصطياد كل من يقترب منها . كان ذلك يوم الجمعة ٢٠ اغسطس سنة ١٩٦٥ .. وكمن رياض ابراهيم فى الشقة بعد ان اعتقل مرسى وزوجته فى حجرة من الحجرات واوقف رجاله بالمدافع الرشاشة خلف باب الشقة فى انتظار الصيد .. وحقا لقد كان الصيد ثمينا فقد طرق الباب الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل .. وعلى عشماوى .. ومبارك عبد العظيم .. وحملوهم الى السجن الحربى مع مرسى وزوجته وأحد ضيوف مرسى وزوجته .. وعاطف شاهين ..

وعندما وصلت السيارات الى السجن الحربى ونزلت زوجة ضيف مرسى من العربة رات تمثالا لجندى يطعن جندى بالسنكى فسقطت مغشيا عليها ..

وفى صباح نفس يوم الجمعة كانت روح محمد عواد قد فاضت بعد ان هشم صفوت الروبى راسه فى جدار الفسقية كما سيأتى ذلك بالتفصيل ..

وانهار على عشماوى واستطاع شمس بدران باسلوب الترغيب والترهيب ان ينجح فى أن يجعل من على عشماوى « شاهد ملك » ..

وكان ذا ذاكرة حديدية قال أكثر مما يستطيع أى انسان آخر أن يقوله .. وكانت تلك الليلة عيدا لضباط الشرطة العسكرية .. فبعد القبض على محمد الجزار ومن معه .. وممدوح الديرى وجلال الدين بكرى ومصطفى الخضيرى معهما .. عانق ضباط الشرطة العسكرية بعضهما .. أتعرف لماذا لأنهم الآن فقط يستطيعون ان يقولوا ان هناك مؤامرة للاخوان المسلمين لاغتيال جمال عبد الناصر .. واعوانه وقلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة ..

وبدات المجزرة الحقيقية بدءا باستشهاد محمد عواد الذى لم يعترف بكلمة واحدة .. ولم تفلح معه وسائل التعذيب الهمجية.. الى ان هشم صفوت الروبى راسه فى جدار الفسقية ..

وهذه المجزرة هى موضوع هذا الكتاب والتى لا يستطيع انسان واحد ممن حضروها أن يرسم صورتها كاملة من خلال تجربته الشخصية لأن لكل واحد من الاخوان قصة .. واسلوب التعذيب اختلف من شخص لآخر .. لذلك فسوف اقدم صورة لمذبحة السجن الحربى من خلال مجموعة من التحقيقات الصحفية مع مجموعة من ضحايا المذبحة .. وأبدا بتجربتى الذاتية والتى أرويها فى الفصل الثالث !!

* * *

المجرم .. الحقيقى ..!!

كلمة أخيرة أختم بها هذين الفصلين وهى أن فكرة تصــفية الاخوان المسلمين لم تكن فى يوم من الأيام تفكيرا مصريا خالصا .. ولكن فى جميع المحن التى تعرض لها الاخوان المسلمون كان الحقد الصليبى والكيد اليهودى والمكر الشيوعى وراء كل محنة لتصفية هذه الجماعة ..

ويقينى أن الولايات المتحدة الامريكية هى المحرض الأول على ضرب الاخوان المسلمين سواء كان ذلك أيام ابراهيم عبد الهادى.. أو أيام جمال عبد الناصر لأنها صاحبة المصلحة الأولى فى المنطقة سواء كانت المصلحة اقتصادية أو استراتيجية ثانيا لأنها حامية حمى الصليبية العالمية فى القرن العشرين وثالثا لأنها أصبحت مطية الصهيونية واليهودية العالمية تسخرها لتحقيق حلمها الكبير فى اقامة « هيكل سليمان » من جديد . والجميع يعلمون أن هذا الحلم لن يتحقق الا فى غيبة الاسلام وبالذات اسلام«الاخوان المسلمين» الذى اعلن جمال عبد الناصر أنه لن يسمح بتواجده فى منطقة الشرق الأوسط أقول أن العقل المفكر فى ضرب الاخوان المسلمين كان عقل القوى الخفية التى تحكم العالم اليوم وتعتبر الاسلام عدوها الأول

والأخير وبرميل البارود الذى لا يدرونِ متى ينفجر فيبدد احــلام الجميــع !!

اما الأقزام من الحكام الذين صورتهم أجهزة هذه القوى الخفية فى صور « الأبطال الاسطوريين » أمام شعوبهم فلم يتعد دورهم دورالهراوة الغليظة التى هوى بها المجرم الحقيقى على نافوخ الضــحية ..

ولكن انى للانسان القزم ان يحجب بيده نور الشمس ؟!!

وانى للحقد الصليبى والكيد اليهودى والمكر الشيوعى ان يقفوا فى وجه الزحف الاسلامى الكاسح ؟!

ان المسلم الحق الذى يعمر الايمان قلبه مطمئن الى قوة الله وقدرته واحاطته بالبشر جميعا ويقينه انه لو شاء الله لانتصر منهم ولكن لله سنة لابد أن تتحقق فحتى يتحقق نصر الله لابد أن نستقيم نحن أولا على طريق الله فالنصر مرهون باستقامتنا نحن على دين الله وليس رهن بقوة الباطل أو ضعفه !!

* * *

الفصل الثالث

مأساة كرداسة.. !!

ماساة كرداسة :

أنا واحد من أبناء قرية كرداسة .. ومن أشبال الاخوان المسلمين فى الخمسينات .. وما سأرويه عن مأساة قريتى لم اكتبه من وحى الخيال ولا بقصد رسم صورة لحكم عبد الناصر الأسود انا فقط أريد أن أسجل مادة خام .. سوف يجد فيها المؤرخون فى المستقبل بعض ملامح حكم الفرد الذى بدأ عام ١٩٥٢ ! واستمر فى جبروته وطغيانه حتى اللحظة الأخيرة من حياة جمال عبد الناصر .. اعرفكم أولا بقريتى .. صاحبة المأساة التى فاقت مأساة قرية دنشواى وكفر عبده والتى لا تضارعها الا مذبحة « دير يس » التى صنعها اليهود فى فلسطين . !

كرداسة قرية من قرى الجيزة .. بل هى أكبر قرى محافظة الجيزة ان لم تكن أكبر قرية فى جمهورية مصر .. يزيد عددها عن الخمسين الفا .. وهى صورة مصغرة للشعب المصرى الطيب فمعظم أهلها يعملون بالزراعة .. وبعضهم كان يعمل بصناعة النسيج اليدوى .. ونسبة المتعلمين فيها قليلة جدا .. ونسبة الفقر عالية جدا .. لأن أبناءها لم يصل أحد منهم الى المراكز التى تمكنهم من تحقيق بعض المشروعات النافعة لأبناء قريتهم .. فلم يصل أحد من أبنائها الى درجة وزير ، أقصى ما وصل اليه أحد من أبنائها عضوية مجلس الامة .. او مجلس الشعب .

ولكن ربنا سبحانه وتعالى نفع هذه القرية بدعوة الاخوان المسلمين فقد زارها فى الأربعينات الامام الشهيد حسن البنا ..

واقيمت بها دار الاخوان « الشعبة » وضمت خيرة أبناء القرية وعلى راسهم المرحوم الشيخ عثمان عبد الرحمن نائب الشـــعبة وعالم القرية الفذ العامل المجاهد المبتلى الصابر .. جزاه الله عن القرية خير الجزاء .. اصبحت كرداسة معقلا من معاقل دعـــوة الاخوان وتكاد القرية أن تكون معروفة لأعضاء جمـــاعة الاخوان المسلمين فى القاهرة وضواحيها أكثر من غيرها وذلك بسبب أن القرية قريبة من الصحراء الغربية حيث كانت تقـــام معسكرات الاخوان ورحلاتهم قبل حكم جمال عبد الناصر وكانت هذه المعسكرات والرحلات فرصة لأبناء قرية كرداسة من العمال والفلاحين والمثقفين أن يتعرفوا على الكثيرين من الاخوان .. ويعرفوا الكثير عن معالم الدعوة !! وكان لدعوة الاخوان الفضل الكبير فى القضاء على التناحر الذى كان موجودا بين عائلة مكاوى (عائلة العمدة) وعائلة عمار وهى العائلة المنافسة لعائلة العمدة وصاحبة العزوة فى القرية .. لقد جمعت دعوة الاخوان المسلمين بين شباب العائلتين وآخت بينهما وقضت على العصبية البغيضة التى كانت تفرق بين أبناء العائلتين والتى عادت بعد ضرب الاخوان المسلمين عام ١٩٥٤ !!

لقد اضعفت دعوة الاخوان المسلمين النعرات الجاهلية وافسحت الطريق امام القيم الاسلامية الاصيلة فلم يعد ما يفتخر به الشباب فى القرية هو انه من عائلة مكاوى أو من عائلة عمار .. ولكن مجال الفخر اصبح العلم .. والخلق .. والسلوك الحسن ..

لقد جاء الوقت فى أوائل الخمسينات كان كل شباب القرية وبصفة خاصة (الطلاب) من الاخوان المسلمين وصبغتهم الدعوة جميعا بصبغة اسلامية واحدة .. كانت دعوة الاخوان وما بثته من قيم اخلاقية اسلامية حصنا للطلاب .. وللشباب فى القرية من التردى فى الانحراف ولا يزال الجيل الذى تربى فى شعبة الاخوان بقرية كرداسة يتميز بأخلاقه .. وعلمه .. ورجولته عن الأجيال اللاحقة .

أجيال ما بعد ثورة يوليو !! والفضل فى ذلك للمنهج التربوى لجماعة الاخوان المسلمين .. والذى كانت تربى عليه الشباب ..

وهنا سؤال يفرض نفسه ويلح فى طلب الاجابة : هل قامت حركة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. للقضاء على جماعة الاخوان المسلمين ؟؟ ولمصلحة من هذا ؟ ! ان الموقف العدائى للاخوان لم يكن له مبرر، لأنه ثبت ان كل الاحداث التى اتخذ منها جمال عبد الناصر مبررا لضربه جماعة الاخوان المسلمين كلها مزيفة وملفقة وأجهزة امنه هى التى لفقت هذه الأحداث بدءا بتمثيلية الاعتداء عليه فى ميدان المنشية بمدينة الاسكندرية سنة ١٩٥٤ .. ومخازن السلاح التى بناها رجال الثورة بأيديهم فى عزبة أحد أعضاء الاخوان وجعلوها دليل اتهام الاخوان لضرب الثورة !! .. أو قضية سنة ١٩٦٥ والتى لم يعلن عن وجود تنظيم للاخوان الا بعد ما تم القبض على الاخوان وعذبوا ليقرروا أن هناك تنظيما .. وليلتها تعانق رجال الشرطة العسكريين معبرين عن فرحتهم فى وجود مبرر للمجزرة التى كانت النية مبيتة لاقامتها للاخوان .. ان الجهد الذى بذله النظام الناصرى فى ضرب الاخوان المسلمين على طول الربع قرن الماضى جهدا رئيسيا من جهود النظام فى عملية تخريب المجتمع المصرى وتفريغه من قواه الحقيقية .. ان ضرب الاخوان المسلمين هدف من أهداف الاستعمار العالمى .. شرقيا كان أم غربيا لأن الاخوان هم طليعة البعث الاسلامى ليس على مستوى مصر بل على مستوى العالم .. لأن الشعب المصرى هو أخصب تربة لازدهار الدعوة الاسلامية والحركة الاسلامية بشهادة معظم العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية .. ان الشعب المصرى استهدف ولا يزال يستهدف لأنه مكمن الخطر على المصالح الاستعمارية فى المنطقة .. « والاسلام » هو المفجر لطاقات الانسان وهو الموجه للشعوب نحو تحقيق أحلامها فى غد مشرق ..

الصليبية العالمية تعرف هذا .. واليهودية العالمية توقن به .. والشيوعية الدولية تؤمن أن العقبة الكئود فى طريقها هو «الاسلام» وهو التحدى لفلسفتها ونظريتها التى تسميها « علمية » .

و « الحكام » فى الشعوب الاسلامية يعلمون أن غيبة الاسلام عن الشعوب هى الفرصة الوحيدة لكى يحكموا أهواءهم وشهواتهم ويعيشوا كأنصاف آلهة تسبح الجماهير الغافلة عن تأليه ربها الواحد الأحد بحمد حكامها الذين يسوقونها الى حتفها . وضياعها !!

ورغم الضراوة التى اتسمت بها مواجهة نظام عبد الناصر لدعوة الاخوان الا أن شجرة الدعوة كانت قد استوت فى أرض مصر وتمكنت من القلوب فلم يجد قتل او سجن أو تشريد فى ايقاف المد الاسلامى — والضربات التى كانوا يظنون أنها معاول هدم فى صرح الجماعة والدعوة الشامخة لم تزد البنيان الا تثبيتا .. لقد عزت الدعوة فى نفوس أبنائها وغلت حتى رخصت فى سبيلها الأرواح .

ان مأساة قرية كرداسة نموذج لضراوة حرب الابادة التى شنها النظام الناصرى على الدعوة الاسلامية وكل من يمثلون الدعوة الاسلامية ..

لقد عاش الشعب المصرى منذ قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ليلا طويلا من الارهاب .. ذاق فيه أبناء مصر الطيبون صنوف العذاب واستبيحت فيه كل الحرمات ويكاد لم ينج منتلك المأساة احد حتى الذين صنعوها من الطغاة .. جلاديهم وسجانيهم أذاق الله بعضهم بأس بعض .. لقد اكلت الثورة أبناءها واحدا بعد الآخر .. ولكن نقول بيقين أن ما لاقاه الاخوان المسلمون كان أشد هولا وأكثر ضراوة مما لاقاه غيرهم من أبناء الشعب .. بل ان عبد الناصر كان يجعل من الاخوان النموذج الذى أرهب به الشعب

كله .. طوال فترة حكمه ولا يكاد يوجد أحد من الشعب المصرى .. لا يعرف ماذا حدث للاخوان منذ سنة ١٩٥٤ — حتى موت جمال عبد الناصر .. وما وقع بأبناء قرية كرداسة .. الاخوان منهم وغير الاخوان جاوز كل حد .. حتى فاقت المأساة كل تصور .. ولا تزال المأساة تملأ نفوس أهل القرية جميعا .. وعندما نزلت الى قريتى لاجمع المادة التى اسطرها لك فى هذه الصفحات لم يكن سهلا أن تنحل عقدة لسان أحدهم ليروى كيف بدات المأساة وكيف سارت .. وكيف انتهت بالرغم من مرور عشر سنوات عليها فالرعب ما زال يعقد الألسنة والخوف ما زال قابعا فى حنايا الصدور .. لقد رفض أبناء القرية أن يتكلموا عن ماساتهم قائلين : من يدرينا الا يتكرر هذا الأمر مرة ثانية .. لقد حدث مرة سنة ١٩٥٤ وان كان للاخوان فقط ولكن فى سنة ١٩٦٥ حدث لنا جميعـــا .. ما هو الضمان لنا حتى يمكننا أن نتكلم !! ان الموقف من الاخوان لا يزال هو .. هو .. صحيح هم الآن خارج السجون وتصدر لهم مجلة الدعوة .. ولكن هل مسموح لجماعتهم أن تعمل بصفة قانونية ؟! ان الغد لا يعلمه الا الله .. ونحن لسنا مطمئنين فلا داعى للكلام !!

وعندما تكلم معى البعض رجونى الا اذكر أسماءهم حتى لا يكون ذلك سببا فى ضرر يـ يق بهم .. لقد أمسكت بالخيط من أوله ولكنى لم أستطع أن أجمع قصة ما حدث لجميع أبناء القرية فهذا ليس فى مقدورى . وكنت أتمنى أن أكتب كتابا ولا زالت الفكرة قائمة .. لأن المأساة اكبر من فصل فى كتاب !! وما أصدق كلمة الأســـتاذ يوسف أيوب ابن عمدة القرية السابق وأخ العمدة الحالى وأحـــد الذين عانوا المأساة حين قال : « ان لكل واحد منا قصة أغرب من أن يصل اليها خيال أى انسان » !!

***

كيف بدأت المأساة ؟!

كيف بدات المأساة ؟! كانت الشرطة العسكرية قد أطلقت يدها فى الشعب المصرى وكان شمس بدران ورجاله يجمعون فى ايديهم كل السلطات طبعا فى ظل الطاغية الأكبر جمال عبد الناصر وبعلمه ورضاه بل وتوجيهاته ولا يقبل عقل اى انسان ان شمس بدران كان اقوى من جمال عبد الناصر .. شمس بدران كان أحد الحراس المخلصين لجمال عبد الناصر .. وبدات تنفذ المؤامرة المبيتة .. لسحق الاخوان المسلمين وكما قلت لما اعلن عن وجود تنظيم للاخوان المسلمين وكان ذلك بمثابة الضوء الأخير للبدء فى المجزرة الهمجية البربرية التى اقيمت ليس فقط للاخوان بل لكل من يريد الطغاة ان يسحقوهم .. وكان السيد نزيلى احد ابناء قريتى وذهب رجال الشرطة العسكرية للقبض عليه .. وعندما وصلوا الى منزل السيد نزيلى للقبض عليه فلم يجدوه .. ووجدوا اخاه عبد الحميد نزيلى واتركه يروى ما حدث .. يقول عبد الحميد :

« كان ذلك عند غروب الشمس يوم ٢١ اغسطس سنة ١٩٦٥ وكنت واقفا أمام منزلنا .. واذا بثمانية رجال مفتولى العضلات مفتوحى الصدور يلبسون قمصانا على اللحم !!.. وبنطلونات ضيقة

دخلوا حارتنا ووقفوا امامى وسـألونى عن أخى السـيد نزيلى الأخصائى الاجتماعى .. قلت لهم :

ــ تفضلوا .. أنا أخوه » .

وفتحت لهم الباب واجلستهم فى حجرة الضيوف وعملت لهم شايا ثم قلت لهم :

ــ « ان أخى فى القاهرة .. ولكنه لن يتأخر كثيرا وسوف يحضر بعد قليل » .

فجأة وجدت اثنين منهم وقفا على باب البيت واثنين آخرين اقتحما المنزل وصعدا الى الدور الثانى حيث زوجة أخى « العروس » التى لم يمض على زفافها الا تسعة أيام .. فوقفت دهشا وقلقا وقلت لهم :

ــ « من أنتم ؟ ! .. وماذا تريدون ؟ !

فتقدم منى احدهم شاهرا مسدسه ووضعه فى بطنى وهددنى قائلا :

ــ اذا تكلمت سأفرغ المسدس فى بطنك !!

قلت لهم :

ــ « من حقى أن أعرف من انتم ؟ ! .. وماذا تريدون ؟ !

فجأة وجدت نفسى ملقى على الأرض .. وقفت بسرعة وجريت الى صالة البيت . فلحق بى اثنان منهم شلا حركتى وجرانى الى الخارج .. فأخذت اصيح . « انتم لصوص .. ماذا تريدون منى ؟ ! زاد صراخى .. فخرج الناس من البيوت يستطلعون الخبر .. ازدحم الناس من حولى يسألون فى دهشة ولا جواب الا صراخى :

حرامية .. حرامية !! وبدأوا يسيرون بى فى شارع وسط البلد وتقدم بعض شباب القرية ليخلصونى من أيديهم فأخرج واحد من الرجال الثمانية مسدسه وأطلق الرصاص فى الهواء للارهاب .. واستمروا يجروننى على الأرض والناس يخرجون من بيوتهم وطلقات الرصاص تتوالى .. وعلى بعد أمتار من ورائى كانت زوجة أخى « العروس » يجرونها هى ايضا وصرخات استغاثتها تتوالى .. لقد ظننت فى أول الأمر انهم جاءوا لخطف زوجة أخى .. وحتى هذه اللحظة لا اعرف انهم من رجال الشرطة العسكرية لأنهم كانوا يرتدون الملابس المدنية ولم يأت معهم خفير من عند العمدة ولا عسكرى بوليس من النقطة كما أنهم لم يذهبوا بنا الى دوار العمدة ولا الى نقطة الشرطة وانما اتجهوا بنا الى ناحية أخرى كانت تنتظر فيها السيارات » .

من هو السيد نزيلى الذى جاءت تقبض عليه الشرطة العسكرية ويحاولون أن يأخذوا أخاه وزوجته العروس رهينة حتى يقبضوا عليــه ؟ !

السيد نزيلى هذا كان أحد « أشبال » دعوة الاخوان المسلمين قبل سنة ١٩٥٤ وكان سنه لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره الا بقليل وكبر السيد نزيلى وكبرت معه دعوته وتمكنت من نفسه .. لم ينسها لحظة .. بل حفظها بين جوانحه وكان رغم الأجهـزة البوليسية التى كانت تحمى نظام حكم عبد النـاصر والتى كانت جماعة الاخوان المسلمين هدفا رئيسيا من أهدافها .. كان رغم كل ذلك يعمل لدعوته .. يقيم عليها نفسه .. ويدعو اليها غيره .. كانت الدعوة الاسلامية .. دعوة الاخوان المسلمين .. المحور الذى تدور حوله حياة السيد نزيلى .. ويعمل على بقائها حية رغم ليـل الارهاب وعندما أراد أن يتزوج السيد نزيلى اختار اختا مسلمة ..

من الاخوات المسلمات. لقد جاءت الشرطة العسكرية لتقبض عليه لأنه ضمن التنظيم الذى قيل انه اكتشف فى اغسطس سنة ١٩٦٥ بعد أن كانت عمليات القبض على الاخوان المسلمين قد تمت منذ أواخر يوليو سنة ١٩٦٥ أى قبل أن يعلن عن أى تنظيم للاخوان .. فقد كان النظام الناصرى قد قرر توجيه ضربة ثانية سنة ١٩٦٥ للاخوان لاستئصال شأفتهم .. لقد قال بعض الذين كانوا يشاركون عبد الناصر السلطة فى يوم من الأيام أن عملية ضرب الاخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ كانت تغطية للفشل الذى أحاق بعبد الناصر فى حرب اليمن وهناك قول آخر أن مذبحة الاخوان سنة ١٩٦٥ كانت استجابة من عبد الناصر لطلب السوفييت الذين كانوا تغلغلوا فى نظام الحكم واصبحت لهم سيطرة على ما جريات الأمور تماما كما كانت محنة سنة ١٩٥٤ استجابة من جمال عبد الناصر لطلب امريكا التى جعلت تصفية جماعة الاخوان المسلمين أحد المهام التى حملت تبعاتها جمال عبد الناصر وهناك من يقول أن هناك علاقة بين تصفية الاخوان سنة ١٩٦٥ وبين هزيمة يونيو ١٩٦٧ لأن كل حرب بين مصر واسرائيل يسبقها ضرب الاخوان حدث هذا قبل سنة ١٩٥٦ ، وحدث قبل سنة ١٩٦٧ لأن اليهود قد جربوا قوة الاخوان فى حرب فلسطين ١٩٤٨ وكان جمال عبد الناصر فى سنة ١٩٦٥ قد وصل الى ذروة جبروته واصبحت صورة « فرعون » موسى تتضائل الى جواره .. بل كان أكثر شراسة وأكثر خسة فى الأساليب التى استخدمها لاذلال شعبه حتى لم ينجح من سماره اقرب الأقربين اليه وأصدق أصدقائه !! لقد اصدر جمال عبد الناصر أوامره بالقبض على كل من سبق اعتقاله وأعلن ذلك من موسكو عاصمة الكفر الصراح .. وامتلأت سجون مصر ومعتقلاتها بخيرة أبناء شعب مصر وهم فى نفس الوقت الجيل الجديد الذى انبتته دعوة الاخوان المسلمين فى ظل دكتاتورية عبد الناصر .. لم تقف عمليات القبض على الرجال ولكن تجاوزتها الى النساء والأطفال والشيوخ الضعفاء ..

لقد ذهب رجال الشرطة العسكرية ليقبضوا على اخوان قرية كرداسة وكان السيد نزيلى من بينهم فبدأوا بالقبض عليه .. فلما ذهبوا ولم يجدوه بالمنزل أخذوا أخاه وزوجته رهائن .. وكانت تلك بداية المأساة !! ويكمل عبد الحميد نزيلى قصة المأساة فيقول : « أيقن أهالى القرية اننا مخطوفون أنا وعروسة أخى القاهرية .. فتقدم بعض شباب القرية ليخلصونا من أيديهم .. فحدث اشتباك مع الرجال الخاطفين .. فتكاثر الأهالى على الرجال الثمانية .. واشترك النساء والأطفال بضربهم بالطوب والحجارة .. فهرب سبعة من الرجال الخاطفين وأصيب الثامن واغمى عليه وتجمع الناس من حوله ..

تركت زوجة اخى تعود الى المنزل وذهبت الى نقطة شرطة القرية وعملت محضرا قلت فيه « أن ثمانية رجال هاجموا منزلنا وارادوا خطف عروسة أخى وخطفى واطلقوا النار للأرهاب واستطاع الأهالى ان يخلصونا من أيديهم وعندما سمع الشويش النوبتجى منى هذا الكلام طلب من العساكر الاسراع للقبض على الخاطفين فقلت له : « ان واحدا منهم أصابته ضربة من أحد الأهالى ووقع على الأرض متأثرا بجراحه أسرع الشويش النوبتجى الى المكان فوجد الرجل مغمى عليه والناس من حوله يتحدثون عن قصة الخطف .. انحنى الشويش على الرجل المصاب وفتش جيوبه فاخرج من أحدهما بطاقته الشخصية فقرأها وقال لأهالى القرية :

ـ خربت يا كرداسة .. مصيبة وحلت عليكم يا أهل كرداسة ان هؤلاء الرجال ليسوا لصوصا انهم من رجال الشرطة العسكرية!!

وكان الشويش عبد الحكيم يعرف جيدا أن الشرطة العسكرية هى صاحبة الحول واليد الطولى فى هذا الوقت بيدها مقاليد الحكم وهى يد الحاكم الباطشة وسوطه الذى يلهب به ظهور أبناء

الشعب .. لقد فقدت وزارة الداخلية كل صلاحياتها حتى أصبح رجال الشرطة (البوليس) وحتى رجال المباحث العامة سخرية الشرطة العسكرية وقتئذ !!

اسقط فى يد الشويش عبد الحكيم .. ولكن الأهالى لم يستطيعوا أن يدركوا ابعاد ما قاله شويش النقطة .. صرخ فيهم الشويش واراد ان ينبههم الى فداحة المصيبة وما يمكن أن يحل بهم ولكن الناس لم يغادروا المكان .. أرسل الشويش أحد الجنود يطلب سيارة الاسعاف .. وجنديا آخر ليبلغ الحادث الى مركز امبابة وبقى هو ومن معه حول الرجل المصاب .. ولم تمض ساعة زمن حتي وصلت مجموعة من العربات المملوءة بالضباط والجنود أصحاب الباريهات الحمراء من رجال الشرطة العسكرية الى مكان الحادث وكان الأهالى لا يزالون واقفين ولكن بعيدا عن الرجل المصاب .. نادى أحد الضباط على بعض الأهالى ليسمع منهم كيف وقع الحادث تشجع ثلاثة شبان من الأهالى وتقدموا الى حيث الضباط بعد دقائق قليلة أنهال الضباط على الشبان الثلاثة باللكمات وكان ذلك بداية الارهاب الذى وقع على أهالى قرية بأسرها تفرق الناس .. كل ذهب الى منزله ولكنهم توجسوا خيفة مما يمكن أن يحدث .. وتتابعت سيارات الجيش المحملة بالضباط والجنود ..

ولم ينم الناس ليلتهم .. وكانوا يتسمعون من خلف الأبواب المغلقة ويرون من على أسطح المنازل الدبابات .. والمصفحات وهى تزمجر فى شوارع القرية وحاراتها .. وحلقت الطائرات فى سماء القرية ووصل الى القرية وزير الداخلية وقتئذ عبد العظيم فهمى .. والفريق على جمال الدين .. وشمس بدران ومحافظ الجيزة ومدير الأمن ومأمور المركز .. جاءوا جميعا ليشرفوا على عملية «تأديب» القرية لأن أهلها المسلمين استجابوا لاستغاثة زوجة أحد أبنائهم

الكرام الذين عرفوا بالخلق الكريم والسيرة الحسنة فخلصوها من أيدى خاطفيها الذين لم يدخلوا القرية من بابها فعمدة القرية لم يعلم بمجيئهم ولا شيخ البلد ولا اى خفير من الخفراء كما ان ضابط النقطة لم يكن عنده علم كذلك يطلب القبض على السيد نزيلى بل لقد تبين للسيد نزيلى ومن معه انه لم يكن هناك اذن بالقبض على احد وقت القبض عليه !! وحوصرت القرية من جميع الجهـات وانتشرت المصفحات والدبابات والسيارات فى شوارع القرية ودروبها وبدأت الاوامر تذاع من خلال مكبرات الصوت بغرض حظر التجول وسمع الأهالى أصوات الوعيد والتهديد لكل من يخالف الأوامر .. واحسوا بالهول وقبعوا خلف الأبواب المغلقة ينتظرون ماذا سيأتى به الصباح وبدأت عمليـات بالقبض على عمـدة القرية ومشـايخ القرية والخفراء وشيخ الخفراء وجميع عائلة العمدة وهى من أكبر عائلات القرية .. ربطوهم جميعا بحبال وساقوهم كالبهائم .. النسـاء فى قمصان النوم نصف عرايا يولولن والأطفال يصرخون والرجال فى ذهول يجللهم الذل والعار .. اتجهوا بالجميع الى نقطة القرية وانهال الزبانية عليهم « بالكرابيج » والعصى بلا رحمة وبلا اعتبار لأى قيمة انسانية .. مزقوا ثياب الرجال وتركوهم عرايا كما ولدتهم امهاتهم امام الزوجات والأطفال !!

وروى لى جزءا من المأساة يوسف أيوب المكاوى ابن عمدة القرية السابق واخ العمدة الحالى .. قال :

« سمعنا مكبرات الصوت تحذرنا من الخروج او الدخول .. طلبوا ممن فى الداخل الا يخرجوا ومن الذين فى الخارج الا يدخلوا والا يغادر احـد مكانه .. قبضوا على اخى العمـدة على أيوب وابن عمى شيخ البلد العجوز السيد حمزة رحمة الله عليه .. واخى محمود فهمى عضو مجلس النواب السابق وجميع رجال العائلة

ونسائها وجميع الأطفال فوق سن ١٢ سنة .. ساقونا جميعا الى المدرسة الاعدادية التى اتخذتها الشرطة العسكرية مقر قيادتها لأنها تقع فى وسط القرية وحولوها الى ساحة تعذيب رهيبة .. ربطونا جميعا أسرة العمدة من أيدينا .. مزقوا ثيابنا .. ووقفنا عرايا .. بكيت حزنا عندما رايت اخى العمدة واخى محمود حمزة نائب العمدة والبالغ من العمر اكثر من ستين عاما ليس عليه الا سروالا ومنهكا من التعذيب !! لقـــد جردونى من ملابسى .. وطرحونى على الأرض ومزقوا جسدى بالسياط سلخونى سلخا .. ووضع الفريق على جمال الدين ـــ الذى قيل أنه قتل بالسم ـــ وضع اصبعه فى عينى .. وبعد هذه الطريحة أوقفونا بعضنا أمام بعض وأمرونا أن يضرب أحدنا الآخر والذى لا يضرب بقوة يمزق بالسياط ثم أمرونا أن يبصق كل منا على وجه الآخر .. !! كان بعضنا يضرب البعض الآخر وكنا نبكى لأن ذلك كان اقسى على النفس من ضربات السياط .. ثم أنهكونا بالأمر بالقيام وبالجلوس وبعد ذلك اخذونا طابورا كطابور أسرى الحرب واركبونا عربات مكشوفة وطافوا بنا شوارع القرية الرئيسية وكانوا يضربون النساء والأطفال بالسياط حتى يعلوا صراخهم فيكون ذلك أمعن فى الارهاب لأهالى القرية ..

***

الاستعراض .. الرهيب !!

وبعد هذا الاستعراض الرهيب خرجنا فى عربات مصفحة من قرية كرداسة واتجهت بنا المصفحات الى السجن الحربى باستيل عبد الناصر .. النساء يولولن والأطفال يصرخون فى رعب والرجال فى ذهول .. وصلنا الى السجن الحربى حيث أقيمت أفظع مذبحة بشرية لخير شباب مصر ورجالها والتى لم يحدث لهـا فى تاريخ الشعب المصرى الا فى عهد الرومان أيام الاضطهاد الدينى لمسيحى مصر .. اننى لا استطيع مهما أسعفتنى الذاكرة أن أصف تلك اللحظات الرهيبة المرعبة التى استقبلنا فيها فى ساحة السجن الحربى .. لقد كان فى استقبالنا حمزة البسيونى جلاد مصر .. والعميد سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية ومجموعة من زبانية السجن الحربى أمثال الصـاغ رياض ابراهيم وجـلال الديب .. ومحمد مصطفى الجنزورى وأركان حرب هانى ابراهيم واحسان الماجاتى وصفوت الروبى الذى رقى الى رتبة ملازم شرف مكافأة له على ما ازهقه من أرواح .. ومزق من أجساد !! ومجموعة من العساكر وعساكر الصف .. نجم مشهور .. على حافظ .. وسمير وزغلول شيطان السجن وسامبو .. وعلى الأسود .. والديزل .. والروبى والنوبى وفتحى النملة .. ورشاد

مفراك .. ورشـــاد فلتس .. ورشـاد عبد اللطيف .. واحمد المنوفى .. ومحمد عبد المعطى والمراكبى .. وعدلى .. وصابر .. وسراج .. وحلمى .. وحسن وابو اليزيد .. وسعيد . وسيد خليل وممدوح ومحمد خاطر .. ومحمد مراد .. وغيرهم .. وهم جميعا اختيروا خصيصا للسجن الحربى لأن الواحد منهم كان ذا طبيعة شريرة ونفسية حقودة .. بالاضافة الى المحاضرات التى كانت تلقى الى هؤلاء الزبانية فى أسلوب التعامل مع الاخوان وانهم لا قيمة لهم .. ولا دية لأحد منهم .. بل اكثر من ذلك كانت تصرف شهريا مكافأة تعذيب لهؤلاء الزبانية !!

لقد ساقونا كالبهائم والسياط تنهال على الجميع لا فرق بين طفل صغير او امراة حامل او شيخ ضعيف حتى وصلنا الى ساحة واســـعة فتقدم من كل منا جندى من الزبانية وجـــردوه مما بقى عليه من الثياب .. وأوقفونا على شكل دائرة وأمرونا أن نسجد على الأرض وانهال كل جندى على ضحيته والنساء يشاهدن هذا المنظر المفجع ويبكين بكاء اخرسا !! .

وبعد ان اغرقونا فى دمائنا .. وصبغت اجســـادنا بالسواد من الضرب اخرجونا لعمل استعراض للأسرى والسبايا امام الفريق أول محمد فوزى وامامه امرونا بالركوع فركعنا ثم أمروا النساء أن تركب كل واحدة على ظهر رجل ولم يستثنوا من ذلك حتى المراة الحامل التى يعوقها حملها من تنفيذ هذا الأمر فتوسلت بدموعها لهم !! ثم امروا كل رجل منا أن يختار لنفسه اسم امراة ينادونه به .. ثم احضروا مجموعة من الزبانية انهالوا عليه بالضرب وعددا من الكلاب تنهش فيه ويزداد نهشها كلما ازداد الضرب .

فى النهاية القوا بنا فى زنزانات حشرونا فيها حشرا واغلقوا علينا الأبواب وجاء واحد من الزبانية بعد نصف ســـاعة وفتح

الأبواب وبيده جردل ميكروكروم وبيده فرشة كان يغمس الفرشاة ثم يمسح بها جسد كل منا .. وفى الصباح اخرجونا من الزنزانات .. وحلقوا لكل رجل منا ناحية من شنبه وحاجبا من حاجبيه ثم أعادونا الى الزنازين وادخلوا معنا الكلاب لمدة نصف ساعة تنهش فينا .. ثم اخرجوا الكلاب وأخرجونا للتحقيق وعلقونا فى الفلكة وأعطونا « طريحة » ثانية وقالوا لنا « هذا غذاؤكم » !! وحدث ذلك عند العشاء أيضا .. استمرت حالتنا على تلك الصورة تسعة وعشرين يوما داخل السجن الحربى .. ولما لم يجدوا علينا أية مسئولية أخرجونا من السجن الحربى وحملتنا العربات عرايا كما ولدتنا أمهاتنا حتى باب القرية !!

وروى لى عبد الرحمن القبلاوى امام وخطيب مسجد وهو من ابناء القرية قال :

« استبيحت القرية ثلاثة أيام من صبيحة الحادث يوم الأحد حتى ثالث يوم .. فتشت جميع منازل القرية وخربت ومزقوا الفرش وحطموا كل شىء يمكن تحطيمه . ونهبوا كل ما وصلت اليه أيديهم افسدوا كل شىء داخل البيوت خلطوا الدقيق بالجبن بالحبوب بروث البهائم .. قبضوا على الآلاف من الرجال والنساء والأطفال فرضوا حراسة على كل شارع وكل حارة وكل درب .. انتشر الجنود فى كل مكان .. فرض حظر التجول طول الثلاثة أيام حتى نفد الماء والطعام .. وجاعت البهائم وعطشت وجف لبن الأمهات ومات الأطفال الرضع ونهبت المحال التجارية وسرقت حلى النساء واهدرت رجولة الرجال وأقاموا ثلاث ساحات للتعذيب داخل القرية .. فى المدرسة الاعدادية .. وفى الوحدة المجمعة وفى نقطة البوليس !!

ويقول مدرس اعدادى بالقرية طلب الا أذكر اسمه :

« لقد هجموا على الحقول ودمروا وخربوا ما فيهــا من زرع وقبضوا على من فيها .. أخذونى انا واهلى واستولوا على كل ما نملك وقادونا الى الوحدة المجمعة كانت قطعة من جهنم رايت رجالا مضروبين حتى اختلطت ملامحهم وآخرين مصلوبين على جذوع النخل بعضهم مغمى عليه من التعذيب والبعض الآخر يجأر المــا وفزعا .

وكانت النتيجة الحتمية لصنوف التعذيب الوحشى الذى وقع على اهالى قريتى هو : المو ت.. والجنون .. والصرع !!

مات صلاح رزق عبيد فى السجن الحربى ومات أبو سريع جحا ومات محمد أبو السعود فى القرية وجن ابو عميرة الصابر واصيب الكثيرون بالصرع . لقد بقيت جثث الموتى فى البيوت لا تجــد من يحملها الى المقابر وعندما سمحوا بدفن محمد عبد العــزيز حيدر لم يسمحوا الا بأربعة يحملون « النعش » وقد ترك بعض المشيعين النعش وهربوا خوفا من التعذيب من رجال الشرطة العسكرية .

ويقول محمد الشامى مدرس اللغــة الفرنسية ومن ابنــاء القرية :

لقد عاشت القرية ما يقرب من ثلاثة اشهر يسيطر عليها الارهاب واغلقت المساجد ومنع الأذان وعطلت الصلوات داخل المساجد ..

وقال لى كمال الفرماوى :

« لقد سمعت شمس بدران يقول : انا معى « كارت بلانش لتدمير كرداسة وازالتها من على الخريطة . وقال أيضا سأعطى كرداسة درسا لن تنساه مدى أربعين سنة !!

كانت كلمـــة كرداسة داخل الســـجن الحربى « كاللعنة » تجلب العذاب الرهيب الى ابنائها .. كان المحققون مع أحمد عبد المجيد وهو من ابناء كرداسة يصرفون له عشرين سوطا عند كل مرة يذكر اسم كرداسة !! وأنكرت أنا اننى من كرداسة عندما دخل على الزنزانة حمزة البسيونى وسأل كل من فى الزنزانة عن اسمائهم .. واسماء قراهم .. وكان قد قبض على صباح يوم الأحد وهو ثانى أيام الحادث ولم أكن اعلم ولكن عندما ادخل على بعض الاخوان وعرفوا اننى من كرداسة رووا لى ماذا حدث لأبناء قريتى .. داخل وخارج السجن الحربى واقنعونى الا اذكر اننى من كرداسة .. فلما دخل حمزة البسيونى علينا وسألنى عن اسمى وعن قريتى قلت له :

انا ساكن فى شبرا !!.. وربما انا الشخص الوحيد الذى لم يصبه اى اذى بسبب قريتى كرداسة !!

وكلمة اخيرة اختم بها تلك الصفحات عن مأساة كرداسة أن مأساة كرداسة اذا قيست بمأساة الاخـــوان المســـلمين لا تعتبر إلا صـــورة مخففة .. وانما الصـــورة المكثفة والمجســـمة لتجبر عبد الناصر وطغيانه تتمثل فى مأساة الاخوان المسلمين .. يشهد بذلك جبل المقطم الذى تضم تلاله خيرة شباب الاسلام المجاهدين الصادقين الذين استشهدوا تحت سياط التعذيب ووسائله الجهنمية امثال الشهداء : محمد عواد .. اسماعيل الفيومى .. رفعت بكر محمد عبد العزيز منيب .. ومحمد على عبـــد الله وغيرهم .. وغيرهم ..!!

الفصل الرابع

النساء رهائن فى السجن الحربى

النســاء رهـــائن
فى السجن الحربى

كانت ذروة المأساة فى محنة الاخوان سنة ١٩٦٥ هى الزج بالمئات من النساء المسلمات فى زنزانات السجن الحربى .. وسجن القناطر ومركز الشرطة العسكرية بعابدين واتخاذهن « رهائن » حتى يقبض على الرجال . أو وسائل ضغط وتحطيم لارادة الرجال حتى يدلوا ويعترفوا بما يريده الطغاة من اعترافات مزيفة يصنعون منها مؤامرة وهمية ليتخذوها سببا فى التدمير البشرى للشـــباب المؤمن المجاهد من أبنـــاء الدعوة الاســـلامية .. وطلائع البعث فى القرن العشرين .

لقد كان رجال الشرطة العسكرية يلقون القبض على الأم التى جاوزت السبعين ، وقد تكون عمياء .. لا تقدر على الحركة .. كما كانوا يقبضون على الحامل التى وضعت حملها من هول مارأت أو ماتت بحملها .. وكانوا ينتزعون الأمهات من أحضان الصـــغار واخـــذوا « العرائس » فى ليالى الزفاف .. وقبضـــوا على فتيات صـــغيرات لم تتجاوز أعمارهن الثالثة عشرة .. كما قبضـــوا على أسرة كاملة رجالها ونسائها وفتيانها وفتياتها شبابها وشيوخها وكانت أسرة المرحوم حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وأسرة الشهيد سيد قطب من بين تلك الأسر ، ..

وهنا تحضرنى قصة القاء القبض على المهندس عبـــد المنعم خليفة الحنفى وكانت زوجته قد توفيت وتركت له أربعة أطفال وهب الرجل حياته لهم ولم يرض وقتئذ أن يتزوج حتى لا يسبب لأطفاله

اى الم .. كان المهندس عبد المنعم خليفة الحنفى يسكن فى شقة قريبة من اخته التى كانت تشاركه فى رعاية اطفاله ولكن شاء الله ان تسافر هى واسرتها الى المصيف ويبقى المهندس عبد المنعم خليفة مع اطفاله فى القاهرة ... وصدر الأمر بالقبض عليه فحضروا اليه ليلا ليأخذوه فلم يجد المهندس عبد المنعم خليفة من يترك اطفاله عنده حتى تعود اخته فاضطر الى تسليم الأطفال الأربعة الى قسم البوليس ليسلمهم الى اخته وقد استودعهم الله الذى لا تضيع عنده الودائع !!

ولا انسى كيف احضرت الشرطة العسكرية أسرة السيد البردينى من قرية ميت ابو خالد محافظة الدقهلية .. احضروا زوجته وبنته وولده وكانوا يضربوه امامهم ويعذبوهم امامه ليعترف عن وجود سلاح لا وجود له وان يدلهم على مكانه ..

وكيف احضروا زوجة احمد عادل كمال وزوجات الكثيرين من الاخوان وامهاتهم .. واحضروا خطيبة الطيار محمد ضياء الطوبجى واخته وزوجة مرسى مصطفى مرسى وزوجة السيد نزيلى .. واختها وزوجة الأخ عباس السيسى .

ونساء كرداسة .. وما ادراك ما نساء كرداسة لقد كان السجن الحربى غابة كلابها من البشر الذين لم يراعوا لله حرمة .. ولا للانسان انسانية !!

لقد روى لى الأخ محمد عبد الله الخطيب انه راى حمزة البسيونى فى احدى ليالى التحقيق يهدد الحاجة ام احمد قائلا لها :

ـ ياولية انت يا بنت الـ ... اذا لم تتكلمى فسوف تأخذين علقة لم يأخذها اى رجل !!

ولقد البسوا الحاجة زينب الغزالى افرول رجالى وعلقوها كالذبيحة ومزقوها بالكرابيج تماما كما كانوا يعلقون الرجال ولقد تركوا جراحاتها دون اى علاج حتى تقيحت الجراح وظهر فيها الدود !!

قصة الحاجة أم أحمد !!

سـألت الحاجة أم أحمد .. وقد بلغت الثمانين أو جاوزتها قلت لها كيف قبض عليك ؟!

ــ ذات يوم جاءني أحد الضباط ومعه أربعة من المخبرين وكانوا قد قبضوا على ابنى أمين الذى أمضى فى السجن عشر سنوات .. اخذونى الى وزارة الداخلية واحضروا ابنى امين واخذوا يعـذبونه امامى . وكان أحمد راسخ احد رجال المباحث العامة يقول لى :

ــ نحن نعذبك بتعذيب ابنك أمامك ؟!

وبالرغم من بشاعة هذا الموقف واحتمالى كأم ترى ابنها يضرب أمامها بالسـياط الا أن الله قوانى فلم تدمع لى عين .. وبقيت فى وزارة الداخلية يوما وليلة ثم أفرجوا عنى .. وبعد حوالى اسبوع جاءوا مرة ثانية وأخذونى .. وظننت انهم قتلوا أمين ابنى وانهم قد جاءوا لأتسلم الجثـة !!.. فذهلت عن كل شىء حتى نسيت مكان النقود . وقلت لأولاد ابنتى المقيمين معى :

ــ اعطونى نقودا لأنهم قتلوا خالكم أمين .. وسوف يسلموننى جثته وينبغى أن يكون معى نقودا !!

فقالوا لى :

ـــ ليس معنا نقود نحن ايضا !!

فأخرج الضابط الذى حضر ليقبض على خمسة قروش فأخذتهـــا منه وانا فى ذهول !!

اركبونى عربة وجدت فيها شيخا مسنا هو الأستاذ عمـــر غانم ومعه آخرين وصاحبونا الى وزارة الداخلية .. وهناك أركبونا عربة أخرى وتوجهوا بنا الى السجن الحربى الذى أعرفه منذ أيام مذبحة الاخـــوان الأولى ســـنة ١٩٥٤ لأنى كنت أبحث عن ابنى الذى اخـــذوه !! ..

وصلت بنا العربة امام السجن الحربى فأدخلونى زنزانة وحدى وكان هناك عدد من النساء : الحاجة زينب الغزالى .. اخـــوات الشهيد سيد قطب وآل الهضيبى بقيت فى زنزانتى وحدى سبعة عشر يوما دون تحقيق أو سؤال وكانوا يلقون لى الطعام من تحت عقب الباب .. وذات يوم نقلونى من هذه الزنزانة الى زنزانة أخرى .. وفى سجن آخر صغير ليس به الا ست زنازين خاليـــة تماما .. فوضعونى فى آخر زنزانة ووجدت مكتوبا عليها « اعدام » وايقنت اننى ساعدم !!

وكان الشتاء قد حل ولم اكن ارتدى من الملابس الا فستانا أسودا وطرحة سوداء قصيرة ..

وذات ليلة أخذونى وسألونى عن الحاجة زينب الغزالى فقلت :

ـــ اننى أعرفها .. وكنت قد عرفتها فى مسجد من المســـاجد والتقيت بها بعد ذلك مرتين أو ثلاث مرات ..

سألونى عن اناس كثيرين ... فأجبت بما أعرف . ثم اخرجونى وادخلونى حجرة يجلس فيها شاب وقالوا لا تنظرى ناحيته .. وتكلم الشاب بطريقة انسان يتدلل على ابيه قال :

ـــ انا اعرفها ..

فقلت :

ـــ انا لا أعرفه .

فقال :

ـ انك كنت تجمعين نقودا للاخـــوان من الشرقية ومن محمود عبيه نظرت اليه فوجدته ملفوف الرجلين بشاش عليه سائل أصفر لم يكن دما حقيقيا ..

فقلت :

ـ أنا لا أعرف احدا .

فقال المحقق :

ـ الا تعرفينه ؟! هذا هو على عشماوى .

وكنت أعرف أن هذا الشاب سخرته الحكومة ... فقلت :

ـ لا أعرفه ...

وكان يحقق معى شمس بدران وجلال الديب وكانا يقولان لى .

ـ ألن تعترفى .. طيب سوف تذوقين الوانا من العذاب اقلعى الطرحة .. واخلعى الحذاء ..

ونادى أحد الحراس :

ـهات الحبل .. وكتفها !!

أحضر الحارس الحبل وربط به يدى وقالا لى :

ـ اعترفى الم تذهبى الى المرشد حسن الهضيبى ؟! الم تسلميه خطابا ؟!

ـ آه صحيح .. انا وصلت له ورقة صغيرة مكتوبا عليها كلام بخط عاجز وقرأت ما فيها ولم تكن خطابا بالمعنى المفهوم
فقال لا :

فقلت :

ـ انهم سيقيمون جمعية جديدة وسيختارونك مرشـدا لها .. فهل انت راض ؟ !

وقال شمس بدران :

ـ سنقتلك انت وابنك !!

واحسست ان احدا خلفى اشار له .. فقام وتركنى قلت أنهم قتلوا ابنى أمين .. وسيطرت هذه الفكرة على ذهنى .. واعادونى الى الزنزانة .. وازداد همى !! وفكرت ان اعـود الى التحقيق لعلنى اعرف الحقيقة على وجوههم هل قتلوا ابنى أمين حقيقة ؟!.. ام لا ؟! .. طلبت ان اذهب الى المكاتب لأنى اريد ان اقول كلاما .. احضرونى فقلت اريد ان ادخل الحجـرة فأدخلونى فقلت لهم اى كلام ، وكنت اتفرس فى وجوههم ولكنى لم اتحقق من شىء .

اعادونى الى زنزانتى فى السجن فوجدت واحـدا من الاخوان ميتا من التعذيب ومغطى ومكشوف الرجلين !! ظننته ابنى وأردت ان اتأكد هل هو ابنى ؟! ام لا ؟! .. ورأيت بجوار زنزانتى ثيابا ملقاة فظننتها ثياب ابنى . وذات يوم مر بى حمزة البسيونى وسألنى

ـ هل تريدين شيئا ؟!

فقلت :

ـ لا اريد شيئا مادمتم قتلتم ابنى .. أحسن اقتلونى انا أيضا

وذات ليلة .. اخذونى وظننت انهم سيعدموننى .. اوقفونى امام حجرة كنت اعتقد ان فيها المشنقة !! .. قالوا لى :

ـ تمشى .. قليلا !! .

فقلت :

ـ ربنا يكفينا وقفة الحاكم الظالم !!

ـــ هل نحن حكام ظالمون ؟!

فلم أرد .. وبعد فترة اعادونى الى زنزانتى !!

وفى ليلة اخرى نادونى واخرجونى من الزنزانة واخذونى اناوسيدة اخرى وظننت انهم ذاهبون بنا الى المحافظة لاعدامى .. ولكنهم أخلو سبيلى عند كوبرى شبرا انا والست التى كانت معى وهى أم عنانى !!

وروت لى الحاجة زينب الغزالى :

ـــ لقد جاءوا بالحاجة أم أحمد وكانت فى الثمانين الى السجن الحربى ورأيتها عدة مرات تساق هى وزميلات لها الى التحقيقات

وما أدراك ما التحقيقات ؟!

لقد سألنى شمس بدران عنها فقلت :

ـــ هذه السيدة الفاضلة كل صلتها بالاخوان أنها كانت تقوم بخدمة أسر المسجونين وتمد يد العون لهم فتقدم لهم الطعام والكساء والمسكن !!

قال شمس بدران :

ـــ عبد الفتاح عبده اسماعيل اعطاك جوالا من الديناميت لتسليمه الى أم أحمد ؟!

فقلت له :

ـــ اتق الله .. صحيح عبد الفتاح عبده اسماعيل أعطانى أشياء لأم أحمد وكانت عبارة عن دستت فانلات وكالسونات من القطن والصوف مطلوبة للمساجين من الاخوان داخل السجون !!

قال شمس بدران :

ـــ وهل هذه ليست جريمة ؟! يابنت الـ .. وماذا أيضا ؟!

فقلت :

ـــ بعض علب السمن والزيت وملابس لأبناء الاخوان المسجونين وزوجاتهم .

فقال شمس بدران :

ـ تريدون يا اولاد الـ .. الا نعتبر كل هذا جريمة سنقطع رقابكم من أجل ذلك !!

واضاف شمس بدران وهو يزمجر :

ـ سنأتى بأم احمـــد ونعلقها امامك !! .. اما ابنها فقطعناه قطعا !!

تلك ياولدى الجرائم التى أدخلت من أجلها النساء الى السجن الحـــربى .

واضافت الحاجة زينب الغزالى ..

ـ هذه ياولدى قصة الأم الفاضلة حرم الامام المرشد المرحوم حسن الهضيبى .. لقـــد أحضروها الى السجن الحربى بعد أن أحضروا زوجها الذى جاوز الثمانين وظلت فى السجن الحربى تحت مقاصل جاهلية شمس بدران وزبانيته ولما لم يستطيعوا أن يثبتوا عليها أى شىء الا العمل الانسانى الذى كانت تسهم به فى اعانة أسر المسجونين ، رحلوها الى سجن القناطر لترتدى جلبابا من الدمور الخشن ولتنام على أرض السجن وتأكل من جربله وهى زوجة المستشار حسن الهضيبى ..

ولم تكن حرم المرشد العام المرحوم حسن الهضيبى وحـــدها ولكنهم قبضـــوا على بنتها خالدة وعلية الهضـــيبى وكانت علية الهضيبى فى أيام حملها الأخير وقد خرجت من السجن الحربى لتضع مولودها ..

وقد جاءوا بعلية الهضيبى والسيدة غادة عمار زوجة الطيار يحيى حســـين الذى أفلت من المذبحة باعجوبة الى السودان .. لقد أحضروها رهينة وانتزعوها من بين طفلتها الرضيعة التى لم تتجاوز ستة أشهر وابنتها الأخرى التى لا تتجاوز عمرها سنتين !!

سألت الحاجة زينب :

— كيف كانت الحياة داخل الزنزانة .

فقالت :

— قبل أن تأتى علية الهضيبى وغادة عمار كنت قد أمضيت شهرين وانا أنام على الأسفلت فى الزنزانة ودون غطاء أو وسادة وقبل دخول غادة وعلية زنزانتى بنصف ساعة فتح باب الزنزانة والقيت ثلاث بطاطين وثلاث وسائد . وتعجبت للأمر . وبعد دقائق وجدت غادة وعلية تدخلان على وبقيتا معى ثمانية عشر يومــا لا تخرجان من الزنزانة الا الى دورة المياه بينما كنت أطلب للتحقيق فى بدايته وأعود ممزقة بالسياط يقطر جسمى دما ، وعندما كنت أعود أجدهما أحيانا نائمتين فلا أوقظهما .. واحيانا تنتظراننى حتى أعود .. وكان الجلادون يتركوننى دون علاج وكانت علية الهضيبى معها علبة كبريت لم يأخذوها منها فى التفتيش فكانت تشعل العود وتصنع منه رمادا تضعه على جروحى ليقف الدم !! ثم أخذت للتعذيب الانفرادى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٦٥ وتركتهما وبقيت كل واحدة منهما فى السجن الحربى حوالى ثلاثة أشهر وخرجت علية لتضع حملها أما السيدة غادة عمار فقد كانت والدتها طريحة الفراش ووالدها رجلا مسنا فكانت لا تدرى ماذا صنع بالطفلتين الصغيرتين وماذا حدث لهما ؟ !

وقال لى يوسف القرش :

— لقد قبضوا على زوجتى واحضروها الى السجن الحربى بعد القبض على بيومين ، وضربوها بالسياط أمامى بعد أن فشلوا فى الحصول منى على اعتراف بما يريدون وبقيت زوجتى فى السجن الحربى حتى أفرجوا عنها !!

* * *

أم مجدي .. زوجة الحاج عباس

وقال لى الحاج عباس السيسى التاجر برشيد :

ــ بعد انتهاء التحقيق معى ، وبعد أن بدأوا فى تنفيذ طوابير غسيل المخ لنا داخل السجن الحربى التى تبدأ من آذان الفجر ولا تنتهى الا مع غروب الشمس . فوجئت بمن ينادينى من الحرس وصحبنى الى مكاتب التحقيق ليحقق معى مرة أخرى أمام سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية الذى سألنى :

ــ هل انت متزوج بواحدة أم باثنتين ؟

قلت :

ــ انا لى زوجة واحدة فقط .

قال :

ــ معلوماتنا تقول انك متزوج باكثر من واحدة . . ؟

قلت :

ــ لم يحدث وليس ذلك صحيحا . .

قال :

ــ لماذا تذهب زوجتك الى الاسكندرية ؟

فقلت :

ــ انها تذهب للعلاج .

قال :

ــ هل تعرف كل سائقى التاكسى التى تسافر معهم ؟

قلت :

ــ بالطبع لا ..

وطلب منى ان أكتب له أسماء من أعرف من السائقين ثم أخرج مسدسه واخذ يحركه كنوع من التهديد والارهاب ولكننى لم ألبه به .. ثم أعدت الى السجن الحربى وأكد لى المهندس محمد رزق شريف والمهندس الكيماوى عبد المجيد يوسف الشاذلى أنهما سئلا عن زوجتى وهل هى من الاخوان المسلمين أم لا .. ؟ وبقيت زوجتى فى السجن الحربى خمسة عشر يوما أصيبت خلالها بأمراض عصبية ولاتزال حتى الآن اذا دخل علينا ضابط أو عسكرى ولو للزيارة تنهار وتصيبها « النوبة » العصبية ..

أما أسرة الشهيد عبد الحميد البوردينى الذى عذب ومات بسبب التعذيب وقبض على أخيه سيد البردينى واراد المحققون من رجال الشرطة العسكرية منه أن يعترف بعربية سلاح من سنة ١٩٥٤ ولكنه لم يعترف لأنه لا يوجد عنده سلاح فأحضروا زوجته وابنته وولده وأخذوا يعذبونهم حتى يعترف .

لقد كانوا يأمرون الزوجة أن تمسك بالكرباج وتضرب به زوجها وكانوا يحلقون شعر رءوس بعض الزوجات ويهددون الرجال بالاعتداء على زوجاتهم ويهددون الأبكار من البنات بفض بكارتهن ..

لقد التقيت بأخريات ممن زج بهن فى السجن الحربى والقناطر وسمعت منهن كيف كن يعاملن معاملة غير انسانية رغم شيخوختهن وعجزهن حتى قال مدير سجن القناطر لشيخة عجوز عمياء :

ــ ماذا كنت تفعلين .. .. ولماذا أتوا بك الى هنا ..

وقالت لى واحدة رفضت ذكر اسمها من الخوف :

ـ كنا فى سجن القناطر نعامل معـــاملة ســـيئة . فالطعام سىء وليست هناك اى رعاية صحية بالاضافة الى قلة الغطاء والفرش رغم زمهرير الشتاء ورطوبة سجن القناطر وقال لى شيخ عجوز ممن حضروا المجزرة :

ـ لقد أحضروا ابنتى الكبرى .. أخذوها ليلة زفافها .. والثانية كانت فى الثالثة عشرة وكم هددونى بالاعتداء على اعراضهما فكان يغشى على أمام هول ما أسمع وكنت أود لو قتلونى ولا يهـــددونى بهـــذا الأمر .

لقد كان رجال الشرطة العسكرية كالكلاب المسعورة اذا ذهبوا ليقبضوا على أحد الاخوان يصطحبون معهم كل من يجدوه عنـــده رجالا كانوا أو نســاءا ..

ان تصرف عبد الناصر وأجهزته فى مذبحة الاخوان سنة ١٩٦٥ كانت دليلا على مدى ما وصل اليه النظام الناصرى من الاستهانة بكل ما هو اخلاقى .. !! وانسانى .. ان عملية القبض على النساء لم تحدث فى مصر حتى فى عهد الاحتلال الانجليزى بهـــذه الصورة التى حدثت على يد من يزعم انه أول مصرى يحكم مصر منذ آلاف الســـنين .. !!

* * *

الحديث الذى أزعج الناصريين

جابر

هل تذكرون الحاجة زينب الغزالى .. السيدة المجاهدة التى حكم عليها الفريق محمد فؤاد الدجوى أشهر قضاة مصر فى عهد جمال عبد الناصر بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة خمسة وعشرين عاما فلم يفت ذلك فى ارادتها .. ولم تحن راسها للطغاة .. ولكنها حينما سمعت الحكم هتفت بأعلى صوتها :

ـــ الله أكبر .. ٢٥ سنة فى سبيل الله !!

لقد أمضت أكثر من ستة أعوام داخل السجن الحربى وسجن القناطر ..

ذهبت الى الحاجة زينب لعمل حديث أنشره ضمن سلسلة التحقيقات التى افسحت لها مجلة الاذاعة صفحاتها أيام رئاسة تحرير الأستاذ ثروت أباظة .. فوجدتها فى حالة نفسية سيئة ولم تستطع أن تتحدث الى .. كل ما قالته :

ـــ دعنى يا ولدى .. فأنا الآن كأم ثكلى فقدت أبناءها الثلاثة فقد سرقوا أصول كتبى الثلاثة « بدء الكون » .. « الاسلام » .. « وأيام من حياتى » لقد وضعت فيها عصارة جهاد اربعين عاما من البحث والمعاناة وفى لحظة فقدتهما ..

ولم تشأ الحاجة زينب أن تحدد من الذى سرق هذه الكتب ولكنها قالت :

ـ كانت أصول هذه الكتب الثلاثة فى حقيبة ثمنها خمسون جنيها وأخذوا معها « شالا » هدية من سيدة أجنبية شغلته بيديها ونظارة .. وبطانية .. فهل السرقة كانت من أجل السرقة أم كانت من اجل أصول الكتب ؟ !

لقد طبعت احدى دور النشر مقدمة كتابى « أيام من حياتى » الذى اعددته للطبع ولم يطبع منه الا أربعون صفحة ولكنهم سرقوه .. لقد رويت فيه ملحمة السجن الحربى كاملة ولكن على الآن أن ابدأ من جديد لأعيد كتابة الكتاب ..

قلت للحاجة زينب :

ـ ان مجلة الاذاعة تنشر على صفحاتها كل ما تصل اليه من معلومات عن مذبحة السجن الحربى ايمانا منها بأن الذين عذبوا فى السجن الحربى بشر من البشر ومن ابناء مصر .. فهل لك أن تحدثينا عن تلك المذبحة التى شاهدت فصولا من فصولها .. ؟!

فاعتذرت بأن حالتها النفسية الآن لا تسمح .. ولكنها وعدتنى ان التقى بها بعد أن تهدأ نفسها ..

وعندما التقيت بها فى المرة الثانية كانت أكثر هدوءا أو كانت قد بدأت فعلا فى تسجيل كتابها « أيام من حياتى » ..

قلت لها .. لماذا قبض عليك ؟ !

قالت :

ـ عندما قرر جمال عبد الناصر حل المركز العام لجماعة الاخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ كنت وقتئذ رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات الذى أسسته سنة ١٣٥٦ هـ وسنة ١٩٣٧ م وكنت رئيسة تحرير مجلة السيدات المسلمات وكنت غير مقتنعة بهذا القرار وأعتبره باطلا شرعا من الوجهة الاسلامية ،

ومنذ سنة ١٩٥٧ كانت مصر البلد المسلم العزيز علينا قد اشرفت على ضياع مخيف يرعب كل صاحب ضمير وصاحب فطرة سليمة يؤمن بالله وكتبه ورسله .. ولما كنا من حفظة كتاب الله وبايعنا الله على أن نكون من دعاة دينه فقد أخذت بواقع المجتمع الذى يعز علينا أن يصبح ضائعا بين الطاغوتين الحاكمين للعالم : روسيا .. والولايات المتحدة الأمريكية فقد قررت والشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل أن نبتدىء خطى ايجابية فى تربية النشء لايجاد جيل قرآنى وكان العمل لا يخرج عن تربية فردية .. وظل العمل هادئا يؤدي رسالته حتى أصدر جمال عبد الناصر قرارا بحل المركز العام لجماعة السيدات المسلمات سنة ١٩٦٤ .

واضافت الحاجة زينب :

— وفى هذه الأثناء صدر كتاب « معالم فى الطريق » للشهيد سيد قطب الذى كان قد أمضى فى السجن ما يقرب من عشر سنوات ولم يكن قد مضى على خروجه من السجن أكثر من ثمانية أشهر هى كل الفترة التى امضاها خارج أسوار السجن قبل القبض عليه مرة ثانية .. فوجئنا فى سنة ١٩٦٥ بالقبض على الاخوان المسلمين .. نعم نحن نريد أن ننشر عقيدة لا اله الا الله منهج حياة ونظاما لخير أمة أخرجت للناس .. لم تكن جريمتنا الا أننا نعتقد أن واجبا علينا حتميا أن ننقذ هذا المجتمع من ضياعه وتسنيه بقيام الاسلام قياما كليا غير مجزا .. تلك يا سيدى كانت جريمتنا التي قبض على من أجلها يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٥ .. انها العقيدة .. عقيدة الايمان بالله ورسله وكتبه .. انها الاعتقاد بشطرى الشهادة على انها منهج حياة ونظام للدولة .. ونظام لخير امة أخرجت للناس .

اننى أعتقد اعتقادا يقينيا لا يداخله شك أن الأمر قد صدر من المخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية لجمال عبد الناصر بتدبير هذه القضية لأن هناك فكرا سليما لفهم الاسلام يدعو اليه الاخوان المسلمون وأن هنـاك نشاطا للتجمع على هذا الفكر بقيادة الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل وزينب الغزالى . ونفذ جمال عبد الناصر تعليمات المخابرات الكافرة الفاجرة لروسيا وامريكا فكانت ملحمة السجن الحربى أو مجزرته بمعنى آخر . لقد كانت لدى مجموعات

من المجلات الأمريكية والأجنبية تؤكد هذا الذى اعتقده وقد أخذت الشرطة العسكرية تلك المجلات مع ما أخذته وقت القبض على ..

ودليل آخر على أن المخابرات الأجنبية هى التى دبرت هذا الأمر ان القبض على الاخوان بدأ فى النصف الثانى من شهر يولية سنة ١٩٦٥ بينما التنظيم التربوى الفكرى لم يكتشف الا بعد منتصف شهر اغسطس سنة ١٩٦٥ .. والدليل الثالث ان عبد الناصر أعلن فى روسيا انه قبض فى ليلة واحدة على تسعة عشر الفا من الاخوان المسلمين واعلن عبد الحكيم عامر فى احدى احتفالات تخريج دفعة جديدة من الكلية الحربية انهم لن يعفوا عن الاخوان هذه المرة !! قلت للحاجة زينب : كيف تمت عملية القبض عليك !! ومن هم الذى قبضوا عليك ؟

قالت :

ـ هل قرأت عن محاكم التفتيش يا ولدى ؟ ! اننى قرأت تاريخها وأعمالها غير انى اتصور أن محاكم تفتيش جمال عبد الناصر ليس لها مثيل فى التاريخ أو سيأتى لها مثيل كل فراش بيتى مزق .. كل أثاث بيتى دمر بأيدى الطغـــاة الفجرة عنـــدما فتشوا بيتى . لقد فتشوا بيتى ثلاث مرات خلال ٢٤ ساعة : مرة فى أول الليــل .. ومرة ثانية عند الفجر والثالثة بعد الظهر .. ولما لم يجدوا ما يدينوننى به أخذوا ما لا يقل عن الف كتاب من مكتبتى .. وفتحوا خزانتى وأخذوا كل ما بها من حلى ومصاغ وأموال ولن أقص عليك يا ولدى الا طرفا من الساعات الأولى التى أعقبت القبض على .. لقد طلبت من الزبانية الذين دمروا أثاث بيتى ومزقوه اذن النيابة بالتفتيش ..

فضحكوا وقالوا :

ـ « الاخوان المسلمون مجانين .. قال أمر نيابة بالتفتيش فى عهد عبد الناصر لا اذن للتفتيش .. ولكن فقط فتش .. اقبض .. اسجن .. أقتل .. أدفن .. »

ـ هذا ما قالوه لي بالسنتهم !! فنظرت اليهم فى سخرية وتركتهم يفعلون كل قبيح ينطبق على قبحهم وقبح فعلهم لقد حملوا الكتب فى عربية نصف لورى واركبوني فى عربة أخرى وجدت فيها ابن شقيقي محمد محمد الغزالى الذى كان يعيش معى كابني وكانوا قد قبضوا عليه فى منزلى عند الفجر ومعه شخص آخر كان طالبا فى كلية العلوم على ما أذكر .. وأخذت الى السجن الحربى مباشرة .. ولقد حاولت أن آخذ بعض ملابسى معى .. فقالوا لى ستعودين الى منزلك بعد ساعات .. لقد طلبت منهم أن يعطونى ايصالا بحليي ومصاغي ومالى الذى أخذوه من خزانتي فقالوا لى :

ـ « أنت مجنونة .. هو عبد الناصر يعطى ايصالات !! »

وعندما وصلت الى السجن الحربى ادخلونى على حجرة فوجدت فيها رجلا كالوحش المسعور سألنى عن اسمى فقلت له :

ـ زينب الغزالى الجبيلى ..

فشتم شتما بذيئا وعرفت فيما بعد أن هذا الرجل هو صلاح نصر وكان بجانبه رجل آخر هـو شمس بدران فلم أعبأ بالشتائم . وقلت لهما :

ـ أرجو أن تكتبوا لى ايصـالا بما أخذوه من مصـاغ واموال وأشياء أخرى كثيرة أخذوها عند التفتيش وأرجو أن تقيد فى محضر التفتيش .

فقال شمس بدران :

ـ يا بنت الـ ... انت ستقتلين بعد سـاعة وتسألين عن مصاغ ومال وكتب .. انك ستموتين بعد ساعة !! واخرجت من حجرة وادخلت فى حجرة ثانية ثم أخرجت وسرت فى ساحة السجن الحربي ووجدت شباب الاخوان كالذبائح البعض معلق على الأعواد .. والبعض مشلوخ على الأرض مشقوق الصدر وآخرين ينزفون دما من أجسادهم هذا بطنه مبقور .. وآخر ذراعه مكسورة وآهات الالم تصعد الى السماء تشكو لربها فعل الظالمين سرت وسط هؤلاء فى هذا المشهد الرهيب .. وأخذ المعذبون بوجودى فقال واحـد منهم :

ــ « صبرا يا أماه !!

واخذنى الموقف فقلت بصوت عال مرتفع :

ــ صبرا يا أبنائى .. انها بيعة مع الله .. صبرا يا أبنائى ان موعدكم الجنة ... صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .

وكان يسوقنى ثلاثة نفر غلاظ تغلفهم ظلمة عرفت فيما بعد أن احدهم كان صفوت الروبى الجلاد الفاجر ضربنى على اذنى بيده الغليظة القاسية فأخذت أذنى تصفر وتزوغ عينى كذلك . وأدخلت ساحة تعذيب أشد قسوة من الساحة الأولى .. وكانت أذنى هدأت بعض الشىء وكذلك عينى . فقلت بصوت عال :

ــ صبرا .. صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة .. !!

فاخذ صفوت الروبى يلهب ظهرى بالسوط فى يده .

وبعد فترة ادخلت الى حجرة لا ادرى كم كلبا كانت بها عشرة كلاب ــ أو خمسة عشر ــ المهم انها مملوءة بالكلاب المتوحشة . واغمضت عينى حتى لا افزع .. فأوقدوا نورا قويا شديدا الوهج يغشى واغلق على الباب من الخارج بالقفل . وعشت فى هــذه الحجرة خمس ساعات من الثالثة حتى الثامنة وانا اغمض عينى واضعة يدى تحت ابطى والكلاب تنهشنى من أخمص قدمى الى قمة راسى ..

ولن أزيد عن ذلك يا ولدى فقد كان الأمر جد عصيب وســوف اسطر تلك الأيام من حياتى فى كتاب غير الذى سرقوا أصوله .. ان التعذيب فى السجن الحربى كان شيئا لم يحدث فى التاريخ مثله وعندما ساكتب سيكون شيئا مروعا سيندهش العالم لما وقع !!

* * *

عبد الناصر يشاهد التعذيب

سألت الحاجة زينب الغزالى :

— ما حكاية رؤيتك لجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى السجن الحربى .

فقالت :

— نعم يا ولدى لقد رأيتهما وجها لوجه يشاهدان التعذيب فى السجن الحربى .. ولكننى لن أروى عن هذا الآن .. ولتعلم يا ولدى اننى لم أعط حديثا صحفيا فى هذا الموضوع فى خارج مصر أو فى داخلها ولكن لأنك فى منزلة الابن عندى فقد تحدثت معك فى طرف من هذا الموضوع ولن أزيد وأن شاء الله عندما أكتب عن التعذيب سيندهش العالم وسيعيد النظر فى الفترة التى حكمها جمال عبد الناصر لمصر وكيف كان هذا البلد يعيش .

قلت :

— بعيدا عن صور تعذيبك أنت — أرجو أن تعطينا صورة لما حدث لنساء داخل السجن الحربى .

فقالت :

ــ « يا ولدى الانسان فى السجن الحربى كأن معزولا عن العالم كله .. بل وحتى عن السجن الحربى .. فهو فى جب مظلم لا يسمع غير الصراخ . صراخ الانسان وصراخ الكلاب . ثم عندما يؤخذ الى المكاتب .. الى منصات الطواغيت شمس بدران .. وسعد زغلول عبد الكريم .. وحسن خليل .. وحسن كفافى .. ورياض ابراهيم .. وجلال الديب .. ومحمد مصطفى الجنزورى .. وهانى ابراهيم .. واحسان العاجاتى وغيرهم .. أمثال حمزة البسيونى وصفوت الروبى .. ففى الطريق ترى الموحدين أهل شهادة أن لا اله الا الله من مستشارين وأطباء ومهندسين وضباط وعلماء ذرة وعمال وفلاحين وسياسيين واقتصاديين ونساء من افضل نساء العالمين فى هذا العصر وأطفالا صغارا!! . وعذارى!!

وكان على راس نساء السجن الحربى زوجة المستشار حسن الهضيبى المجاهدة الفاضلة التى أخذت الى السجن الحربى وهي فى سن الثامنة والسبعين .. والسيدة خالدة الهضيبى والسيدة أمينة قطب والسيدة حميدة قطب والسيدة نفيسة قطب التي كانت فى العقد السابع من عمرها والسيدة المجاهدة العظيمة « أم أحمد » والتى جاوزت الثمانين وكانت كل جريمتها أنها تحنو وتعطف على أسر المسجونين والسيدة فاطمة عيسى والسيدة غادة عمار والسيدة آمال العشماوى .. كان أمامى يا ولدى فى الزنزانة عروس أخذوها من « كوشة الفرح » الى السجن الحربى وكانت تصرخ وتقول « ادع لى يا خالة .. قولوا لزينب الغزالى تدعولى ! » وانا متأثرة أشد التأثر وعروسة قرية كرداسة زوجة الأخ سيد نزيلى العواضية وعروس الطيار « محمد ضياء الدين الطوبجى » وعروس المهندس مرسى مصطفى مرسى وعشرات النساء دخلن السجن الحربى ونساء قرية كرداسة عدا ٨٥ امرأة مسلمة رحلن الى سجن القناطر .. !!

ماذا اقول لك .. انه عار احتملته مصر فى ضميرها وستعيش تاريخها تألم لهذه الفترة التى حكمها فيها الطاغية الدكتاتور ..

لقد كانت النساء تجر الى التحقيق جرا ورأيت الحاجة أم أحمد وزميلتين لهما فى سن ما فوق الستين والسبعين يسحبن على وجوههن فى طرقة الزنازين التى كنت أعيش فى واحدة منها ..

سألت الحاجة زينب عن قصتها مع محمد فؤاد الدجوى قاضى المحكمة العسكرية التى حاكمتها ..

فقالت :

ـ الدجوى !! .. أستطيع ان اقول انه كان رجلا غبيا وهو الآن يلقى جزاءه من الله ويعلم الآن من نحن ومن هو عبد النـاصر وانا لا اعتقد ان الدجوى قـد حاكمنى لأن الاحكام صـادرة من جمال عبد الناصر قبل المحاكمة بل وقبل التحقيق وأعطاها شمس بدران للدجوى لينطق بها كالببغاء على منصة القضاء المظلومة !!

لقد اقسم لى شمس بدران وانا أجلد فى مكتبه ان الأحكام موجودة فى درج مكتبه .. أتعلم يا ولدى بمن أقسم ؟ ! لقد أقسم براس جمال عبد الناصر فالدجوى استعمله عبد الناصر كمخلب قط ليؤدى اوامـره .

ولكنى أذكر حادثتين فى المحكمة وللأسف كان رجال النيـابة فى السجن الحربى يكتبون شيئا مغايرا كل المغايرة لمـا نقول فى التحقيق وكانوا يهددوننا ان لم نوقع على ما قالوه .. فمثلا محمد وجيـه قناوى رئيس نيابة ويحقق وكان يشرف على التحقيق فى السجن الحربى صلاح نصـار . كان يقول لى :

ـ ان لم توقعى على ما كتبت فسوف نعيدك للمكاتب !! اى للتعذيب .. لقد كان هذا هو موقف غالبية المحققين من رجال النيابة والقانون الذين لم يكونوا يؤمنون فى هذا الوقت بالقانون لأنهم كانوا يؤمنون فقط بالأوامر التى كان يصـدرها لهم الطاغية الدكتاتور .

لقد قال هذا « القيناوى » كلاما كثيرا فى المحكمة لم يحدث ولم يصدر منى فسألنى الدجوى فقلت له :

ـ لم يحدث هذا ولم اقله فالنيابة كانت تكتب غير الذى نقول .

ولكنهم غالوا فى التزوير فقالوا ان الشهيد سيد قطب هو الذى قال هذا الكلام عليك فهل سيد قطب كذاب ؟ !
فقلت لهم :

ــ « حاشا لله أن يكذب سيد قطب » .!!

واخذ الصرع بتلابيب النيابة فلم تع ما تقول وكذلك الدجوى . هكذا كان القضاء يريد ان يلصق التهم الزور بالأفذاذ من الرجال . فلما اجبت بالحق الذى اعتقده يقينا ألقمت الجميع : الدجوى والنيابة حجرا فخرسوا !!

عندما طالبت النيابة باعدامى .. وان السجن المؤبد لا يرضيها وقالت اسبابا لهذا قبيحة مثل قبحها وقبح الأوامر الصادرة اليها وقبح صادريها طلبت الكلمة من المحكمة المزعومة فأعطانى الدجوى الكلمة ظنا منه اننى ساعتذر لأن المطالبة بالاعدام أخافتنى فوقفت وقلت :

ــ « نحن حملة كتاب الله وحماة شريعته وامناء أمته ولنا فى رسول الله اسوة حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل فى هؤلاء الظالمين !! »

فانتابت الدجوى نوبة صرع فأخذ يصيح فى :

ــ اسكتى . .اسكتى . . اسكتى . .

ووجه كلامه للمحامين . . قولوا لى :

ــ اسوة يعنى ايه ؟! اسوة يعنى ايه ؟! . . فلتشهد يا ولدى على جهل الذين حاكمونى !! .

عندما نشرت مجلة الاذاعة والتليفزيون حديث الحاجة زينب الغزالى ــ ويكاد يكون الحديث الوحيد الذى لم تمتد اليه يد بالتغيير او التبديل أو الحذف أو الزيادة لأن هذا كان هو شرط الحاجة زينب .. ازعج الحديث كل الذين يدافعون عن عبد الناصر لأن هؤلاء قد اخترعوا لفظة « مراكز القوى » وحملوها كل أوزار عبد الناصر وصوروا عبد الناصر فى صورة الزوج الذى هو آخر

من يعلم بخيانة زوجته .. وأنه كان مغلوبا على أمره وان « مراكز القوى » هذه استطاعت أن تسلب عبد الناصر سلطانه !! وتطلق يدها فى الحكم دون علم عبد الناصر .. وهم يهدمون عبد النـاصر بهذا الأسلوب بأكثر ممن ينسبون اليه مباشرة انحرافات النظام .. وأنا لا استطيع أن اتصور أن جمال عبد الناصر قد فقد سيطرته على الأمور حتى بعد الدور الذى لعبه فى انزال الطامة الكبرى بالأمة التى خدعها وخادعها طوال فترة عمره فى الحكم والبسـها لباس « العار » بعد « لباس » الذل بالهزيمة التى لم تحدث مثلها فى التاريخ الاسلامى طوال اربعة عشر قرنا ..

صحيح كانت هناك مراكز قوى .. ولكن مركز عبد الناصر كان اقوى من كل تلك المراكز .. وكان أكثرها ضراوة .. واكثرها جراة فى امتهان كرامة أبناء هذا الشعب .. بل ان مراكز القوى ما هى الا أيادى عبد الناصر القذرة الملوثة بدماء الضحايا الأبرياء !! ككلاب حراسته المسعورة التى أطلقها على الشـعب تمزق كل ما هـو شريف .. ونبيل وحق وخير ..

اننى أوقن ان عبد الناصر كان على علم بكل ما نزل بهذه الأمة من مصائب .. وكانت يده أكثر تلوثا بدماء الضحايا من غيره .. ان صفوت الروبى جلاد السـجن الحربى بالنسبة الى المجرم شمس بدران ما هو الا « السوط » الذى مزق أجساد الشهيد محمد عواد والشـهيد اسماعيل الفيومى والشـهيد رفعت بكر وعشرات بل آلاف الضحايا غيرهم .. ولكن ما كان له ان يفعل ذلك الا بناء على رغبة شمس بدران .. وان أسرف هو فى تحقيق رغبة سيده تقربا اليه وزلفا — ان شمس بدران — وسـامى شرف .. وحمزة البسيونى .. وسعد زغلول عبد الكريم .. وصلاح نصر وغيرهم .. وغيرهم هم بالنسبة لعبد الناصر .. كالجلاد صفوت الروبى بالنسـبة لشمس بدران ..

عبد الناصر هو الآمر الناهى .. هو الطاغية الذى فاق فى جبروته وخسته .. وضراوته فرعون موسى !! .. وحتى لو كان عبد الناصر لا يدرى عما كان يحدث من أحداث جسام كما يدافع عنه المدافعون فان وزره أعظم .. ومصيبته افدح !!

* * *

دفاع هزيل عن عبد الناصر

وكان من بين الذين أزعجهم حديث الحاجة زينب مؤلف كتاب « عبد الناصر المفترى عليه !! الذى حقق من دفاعه عن جمال عبد الناصر كسبا ماديا — ولا أقول أدبيا !! فأراد أن يستثمر حديث الحاجة زينب فى كتاب عن أحد الذين صنعوا مأساة مصر وشاركوا فى اذلال هذا الشعب وداسوا كرامته وانسانيته بنعالهم .. المدعو صلاح نصر مدير مخابرات عبد الناصر الذى جعل سمعة جهاز المخابرات المصرية فى الوحل والتى مازال يعانى منها جهاز المخابرات حتى الآن . لقد جعل منه المؤلف «أسطورة»!! ولم يخف أعجابه به .

واليك الحديث الذى دار بين المؤلف .. وصلاح نصر ..

س : فى عدد مجلة الاذاعة والتليفزيون بتاريخ ١ فبراير (شباط) عام ١٩٧٦ نشر حديث لزينب الغزالى عما لاقته فى السجن الحربى وقالت فيه « وعندما وصلت الى السجن الحربى أدخلونى على حجرة فوجدت رجلا كالوحش سألنى عن اسمى فقلت له : زينب الغزالى الجبيلى فشتم شتما بذيئا وعرفت فيما بعد أن هذا الرجل هو صلاح نصر وكان بجانبه رجل آخر هو شمس بدران » هذا ما قالته الحاجة زينب . فما هو تعليقك ؟ !

ج : ان ما جاء بمجلة الاذاعة والتليفزيون يؤكد مخطط العملاء والجواسيس ولا أدرى كيف تدعى هذه السيدة أنها رأتنى أو كما تقول أنهم قالوا لها عن الشخص الذى رأته أنه صلاح نصر وثابت من قضية الاخوان التى كانت متهمة بها أن لا صلاح نصر ولا أحد من رجاله يمت من قريب أو بعيد لهذه القضية ولم يدخل أحد من رجال المخابرات العامة السجن الحربى الا عام ١٩٦٧ حينما قبض على بعض الأفراد أى دخلوا اليه مقبوضا عليهم .

ولكن يبدو لى أن مصطفى أمين قد دفع لها مبلغا كى تتم الحلقة التى يرسمها بالتعاون مع ثروت أباظة رئيس التحرير الذى انضم منذ شهور الى مخطط المخابرات المركزية الأمريكية .

س : فى نفس التحقيق ذكرت الحاجة زينب انه أثناء التعذيب الذى جرى لها رأت عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجها لوجه يشاهدان التعذيب فى السجن الحربى ؟ !

فهل حدث ذلك ؟ !

ج : من المضحك ما سردته عن وجود عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى السجن الحربى ليشاهدا التعذيب وكأنهما انتهيا من مسئوليات الدولة الضخمة لاشباع رغبة دموية . ومن الواضح أنها تهدف الى التشهير بهما ضمن المخطط . ان الذين قاموا بهذا التحقيق موجودين وسيتبين كذب السيدة الفاضلة المؤمنة .

س : ذكرت الحاجة زينب ان عبد الناصر قبض على الاخوان المسلمين عام ١٩٦٥ بعد أن صدرت له الأوامر من المخابرات الروسية والأمريكية معا . فهل صدرت لعبد الناصر مثل هذه الأوامر ؟!

ج : يستطيع أى انسان أن يقول ما قاله مالك فى الخمر فلتثبت لنا السيدة صحة دعواها .

س : قالت الحاجة زينب فى وصفها للمخابرات الروسية

والأمريكية انها مخابرات كافرة فاجرة وبصفتك كنت مديرا للمخابرات فهل هناك أجهزة مخابرات فاجرة فى العالم ؟ !

ج : افضل للدول أن تلغى أجهزة مخابراتها التى تحميها من الخيانة والتآمر من ان يقال عنها مثل هذه الصفات وفى رايى أن هذه السيدة تلعب بالالفاظ لتزيد كراهية الناس لأجهزة المخابرات فينجح مخطط العملاء فى هدم اجهزة الأمن وهذا بالطبع يخدم الجواسيس الذين يجدون حينئذ فرصة طيبة لنشاطهم الدنىء .

* * *

واريد ان ارد على ما جاء فى اجابة صلاح نصر على السؤال الأول الخاص بتواجده داخل السجن الحربى وانه لا صلاح نصر ولا أحد من رجاله يمت من قريب أو بعيد لهذه القضية . صحيح أن شمس بدران ورجال الشرطة العسكرية هم الذين استحوذوا على قضية الاخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ ونسبوا هذا « المجد » لأنفسهم وحقق به شمس بدران حلمه بتوليه وزارة الحربية وجنى ورجاله « الثمرة » وأطلقت أيديهم فى الشعب تعيث فسادا ولكن من الثابت أنه لم يكن هناك أى تناقض بين شمس بدران وصلاح نصر اثناء قضية الاخوان بل ثابت انهما كانا حليفين ومتآمرين على جهاز المباحث العامة الذى كان يراسه عبد العظيم فهمى وزير الداخلية والسيطرة عليه . وهذا ما أوضحناه فى الفصول الأولى من الكتاب ثم أن صلاح نصر لم يكن وحده الذى تردد على السجن الحربى أثناء التحقيقات بل ان « سامى شرف » كان هو أيضا يحضر الى السجن الحربى ويحضرون له كرسيا أمام مكاتب التحقيق وفى نفس الساحة التى يعذب فيها الاخوان يجلس عليه سامى شرف ليشاهد التعذيب وقد رآه الأخ الدكتور محمود عزت ابراهيم.

ودليل مادى آخر على التعاون بين شمس بدران وصلاح نصر زمن القضية .. ويتمثل هذا الدليل فى تعذيب الأستاذ جمال فوزى أحد الاخوان المسلمين فى مبنى المخابرات العامة يقول جمال فوزى :

« دخلنا مبنى ضخما والقى بى احدهم فى أحدى حجراته بعد أن طفنا وسط ممرات كثيرة وبعد فترة وجيزة صاح صوت من خلال مكبر صوت : انت بالمخابرات العامة .. اما الاعتراف .. واما الموت . وبالطبع تبينت حقيقة المكان .. ولكن عن أىشىء أعترف.. ولم يطل بى تفكيرى اذ دخل على زبانية المخابرات العامة ليوقعوا بالجسد المشلول المزيد من العذاب .. علقونى من ذراعى الى أعلى وربطوها فى حبال فصار جسدى معلقا ومتدليا ثم ربطوا قدمى فى اتجاهين مختلفين ثم بدأت عملية « الفسخ » بشعة .. رهيبة .. قاسية .. صرت أتمزق وأحسست آلاما فوق الآلام .. فوق طاقة البشر من صنع اناس ليسوا من البشر .. وجرب القوم معى فى المخابرات شتى صنوف التعذيب .. وضعونى فوق ما يشبه الكرسي وربطت من يدى ووسطى ثم أخذ الجهاز يدور بى بسرعة مجنونة ثم يتوقف عن الدوران فجأة لتبدأ عملية المساومة ويمنحنى الله قدرة على الاحتمال فأواجه المساومة بالصمت فيدار الجهاز من جديد حتى احس نفسى مشرفا على الموت .. ونزعونى من فوق الجهاز ثم قذفوا بى على الأرض ثم رفعونى ثانية وقذفوا بى وهكذا مع الركل بالأقدام وتهشيم جسدى بالعصى واللكمات والقيد فى يدى من الخلف وعيناى معصوبتان وأحس ببحار من الدم تغمر بقية ملابسى .. أمرونى بالوقوف فما استطعت فقد ماتت فى الحركة وجاء صوت قبيح كريه تحس فى نبراته غلظة وحش كاسر !! يقول : ضعوا له الخابور .. !!

وشعرت ببقايا ملابسى المزقة تنزع وبجسم مدبب صلب يخزوننى به .. وشعرت بالتمزق .. وكان آخر ما اذكره صيحة مدوية أفلتت منى رغم تهافتى .. ثم رحت فى غيبوبة تامة ..

وأفقت .. فوجدت نفسى فى سيارة تنهب بنا الطريق وأحد الضباط يوقظنى .. نزع الطاقية من فوق عينى فصرت ارى ويا لهول ما رأيت .. الدماء تسيل منى فى نزيف خطير وكانت بالضابط انسانية او ربما كانت حالتى من السوء حتى حركت فى نفسه مواطن العطف والرحمة ، حاول أن يعطينى جرعة ماء .. ولم تكن بى حاجة الى الماء فقد غمرتنى الآلام وكنت أشعر لهيب نار من أثار جريمة المخابرات العامة لم تكن مياه الدنيا بأسرها لتطفئها » .

والأستاذ جمال فوزى من خلاصة الاخوان المسلمين الذين ليس بينهم وبين جهاز المخابرات الذى كان يديره وقتئذ صلاح نصر ما يوغر عليه صدره فيكذب ..

اما قول صلاح نصر .. « ولكن يبدو لى أن مصطفى أمين دفع لها مبلغا كى تتم الحلقة التى يرسمها بالتعاون مع ثروت أباظة رئيس التحرير الذى انضم منذ شــهور الى مخطط المخابرات المركزية الأمريكية » .

فأرد عليه قائلا : أخطأت استك الحفرة !! .. فالحاجة زينب الغزالى ليست فى حاجة الى نقوذ الأستاذ مصطفى أمين وأن المخابرات المركزية تتمنى ــ كما تمنى جهازه هو من قبل ــ أن تقتل الحاجة زينب الغزالى بل وهناك محاولة فاشلة لقتلها فى حادث سيارة مشهور !! أعتقد أن صلاح نصر يعرفه جيدا ..

اما بخصوص رؤية الحاجة زينب لجمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر أثناء التعذيب فى السجن الحربى ونفى صلاح نصر لذلك .. فأقول انه فى العلوم الاسلامية علم يسمى بعلم « الجرح والتعديل» .. هدفه التمييز بين رجال الحديث الثقات من غيرهم .. لو طبقت قواعد هذا العلم الأولية على شخصية صلاح نصر .. والحاجة زينب فلن يكون صلاح نصر الا بطبيعة الظروف التى احاطت بحياته الا « كذوب » .. أما الحاجة زينب وهى الداعية الاسلامية التى جاهدت وتحملت فى سبيل دينها ما عانت فان جواز الكذب عليها احتمال مستبعد لأن المؤمن لا يكذب !! وقد سألت الدكتور ماجد حمادة وهو طبيب السجن الحربى الذى كان يشرف على علاج جرحى التعذيب والذى شهد أمام النيابة التى تحقق قضايا التعذيب بما شاهد من تعذيب أدى الى الموت .. سألته بعد حديث الحاجة زينب لأتأكد من كلامها فقال ان المشير عامر قد زار السجن الحربى مرتين رآه بعينيه فى واحدة وقيل له ان المشير بالسجن فى المرة الأخرى ولكنه لم يره فيهــا .

وأنا لا أستبعد ذهاب جمال عبد النــاصر الى السجن الحربى وهناك أســباب كثيرة لذلك منها أن حارسه الخاص الشــهيد

اسماعيل الفيومى الذى اتهم بأنه كان عضوا فى التنظيم فلو كانت هناك نية لاغتيال عبد الناصر لتم هذا الاغتيال ببساطة عن طريق اسماعيل الفيومى .. وكانت هذه المفاجأة المذهلة باعثا للكثيرين للذهاب الى السجن الحربى ليروه بأعينهم .

وكما أن الأستاذ شمس الدين الشناوى المحامى والذى اراد منه شمس بدران أن يعترف على الشيخ محمد الأودن ليلفق له تهمة يتخلص بهـا نظام عبد الناصر من العـالم المجاهد روى الأستاذ شمس الشناوى أن شمس بدران حادث جمال عبد الناصر تليفونيا قائلا له :

ــ اسمح لى يا بابا أن الغى قرار أفراجك عن شمس الشناوى واعدك أن أحصل منه على اعتراف يدين الشيخ الأودن .

ثم لماذا نستبعد ذلك عن جمال عبد النـاصر الذى قام بنفسه بالتحقيق ومحاكمة كثيرين من الضباط أمثال رشاد مهنـا .. ومصطفى راغب .. بل لقد اشترك رجال قيادة الثورة سنة ١٩٥٤ فى تعذيب الاخوان بأيديهم !!

* * *

الفصل الخامس

أمام بوابة السجن الحربي

امــام بوابــة

السجن الحربى

كان على عشماوى قد اعطانى موعدا فى الساعة التاسعة من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس أمام مسرح البالون .. كنا قد اتفقنا على اللقاء مهما كانت الظروف .. والشيء الوحيد الذى يحول بيننا وبين اللقاء هو اعتقال أحدنا .. ذهبت فى الموعد المحدد والمكان المتفق عليه وانتظرت ساعة كاملة — فلم يحضر احد — فرجعت الى منزلى وانا على يقــين أن على عشــماوى قــد قبض عليــه ..

ولم يمض وقت طويل على دخولي من باب الشقة حتى حضر عندى المهندس فايز اسماعيل .. وسألنى عن لقائى بعلى عشماوى فقلت له :

— لم يحضر ..

فقال لى :

— لقد كان لنا معه موعد فلم يحضر أيضا .. المهم استعد .. وقال : « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ؟! » وتواعدنا على اللقاء فى اليوم التالى .. وكنت أنتظر اعتقالى بين لحظــة وأخرى .. ولذلك فقد كنت حريصــا على التواجد بشقتى حتى يجدوننى عند حضورهم لاعتقالى لأنه حدث ما لم يحدث فى مصر من

قبـــل .. حتى فى أحلك عصور الاستعمار .. لقـــد وصـــل نظام عبد الناصر الى اسفل الدركات فى اذلال هـــذا الشعب وامتهان كرامته .. والاعتداء على الأعراض لقـــد اعتقلوا زوجـــة على عشماوى .. وكانت مريضة وأجريت لها عملية جراحية ولم يشفع لها مرضها .. ولكنهم بنذالة أخذوها معهم الى الشرطة العسكرية فى قصر عابدين .. ولم يفرجوا عنها الا بعد القبض على زوجها .. وأرادوا أن يأخذوا أختها زوجة السيد نزيلى من قريتى كرداسة وكانت لا تزال عروسا لم يمض على زواجها سوى اسبوع واحد .. وفعلا صحبوها من بيتها هى وأخا زوجها وفى الطريق الى السيارات التى كانت تنتظرهم خرج شباب القرية ونساؤها وخلصوا الزوجة العروس من بين أيدى رجال الشرطة العسكرية ونشبت معـــركة بين شباب القرية ورجال الشرطة العسكرية استعمل فيها رجال الشرطة العسكرية الرصـــاص للارهاب ولكن لم يرهب الأهالى وأعطوا رجال الشرطة درسا كان سببا فى مأساة قرية كرداسة بأكملها والتى سبق ذكرها فى الفصول الأولى من الكتاب ..

وقبضوا على امهات .. واخوات .. وبنات عذارى .. حتى الأطفال أخذوهم رهائن .. لقد روى لى المقاول السيد النجيحى من مدينـــة غاقوس ولا علاقة له بالاخوان الا أنه صـــهر عائلة دعادر أصهار عائلة الهضيبى انهم لمـــا ذهبوا لالقاء القبض على احمـــد دعادر .. فلم يجدوه قبضوا على والده الشيخ حسن دعادر الذى كان رهينة الشرطة العسكرية فى كل مرة يذهبون فيها ليقبضـــوا على أحد أبنائه الأربعة فاذا لم يجدوه أخذوا الرجل الذى مات عقب خروجه من السجن الحربى فى احدى المرات . .وذهبوا ليقبضوا على السيد النجيحى نفسه فلم يجدوه فقبضوا على ابنه « بـــدر » وكان لا يزال طفلا .. وجدوه وحده فى العربة عندما ذهبوا ليقبضوا على والده فأخذوه معهم ولم يفرجوا عنه الا بعد أن سلم الأب نفسه وكان السيد النجيحى عندما يذكر هذا الأمر لا يملك نفسه من البكاء ..

ولعل من ابرز ملامح محنة الاخوان المسلمين عام ١٩٦٥ هو دخول نساء الإخوان : أمهات .. وزوجات . .وابناء وبنـــات

وأطفال السجون .. دون مراعاة لخلق أو انسانية هددت النساء بالاعتداء عليهن .. وهددت العذارى بهتك أعراضهن .. وضرب الآباء أمام الأبناء وضرب الأبناء أمام الآباء بل وسفحت كرامة الرجال أمام الزوجات .. مما ستجده كثيرا فى صفحات الكتاب ..

لقد عرفت بعض هذه الصور قبل القاء القبض على فحرصت على أن أتواجد بالمنزل حتى لا أعرض زوجتى لمثل هذه التصرفات التى لطخت نظام الحكم الناصرى وجللته بالخزى والعار .. وجعلت صفحات تاريخه من أسود الصفحات !!

وفى مساء السبت ٢١ أغسطس ١٩٦٥ .. فى الوقت الذى كان فيه رجال الشرطة العسكرية يذهبون ليأخذوا زوجة السيد نزيلى من قريتى كرداسة رهينة لزوجها .. لوجوده فى القاهرة كنت انتظرهم أنا بالمنزل .. جلست مع زوجتى أهيىء نفسيتها لذلك ورتبت معها أمور معيشتها وكنت لا أظن أننى سأبقى كثيرا ، ان هى الا بضعة أيام أعود بعدها الى حياتى الطبيعية لأنهم لن يجدوا عندى شيئا يحاسبوننى عليه !! ولم أفعل شيئا يمكن أن اجرم به كان الوقت ثقيلا على نفسى .. وكنت أتمنى أن يحضروا ليأخذونى حتى يضعوا نهاية لقلقى .. كنت ضيق الصدر .. فصرفت زوجتى لتنام مع الأولاد .. وبقيت وحدى فى شرفة حجرتى الخاصة واطفأت النور .. والقيت بنفسى على الفراش .. ونمت .. واستيقظت على صوت زوجتى تقول لى :

— لقد حضروا ..

وفتحت لهم .. فدخل ضابط المباحث ومعه جندى بوليس .. ومخبر وبدأوا عملية تفتيش سريعة كانت الكتب أهم مكان فتشوه .. لقد كان ضابط المباحث معى مؤدبا وبعد أن انتهى من التفتيش قال لى :

— تستطيع أن تتناول افطارك ..

قلت له :

ـ لو سمحت .. آخذ كوبا من الشاى ..

قال :

ـ اذا كان على الشاى .. تستطيع أن تشربه فى مكتبى .. وودعت زوجتى .. وتحدرت دمعتان من عينيها .. ونهرتها حتى تتماسك .. وقبلت ولداى .. ونزلت مع ضـــابط المباحث وركبت السيارة بينه وبين السائق واتجهنا الى وزارة الداخلية ..

وعندما وصـــلنا الى وزارة الداخلية وفى الضابط بوعده فأخذنى الى مكتبه وطلب لى كوبا من الشاى .. وبدأ يقرأ أوراقى الخاصة التى أخذها معه .. وكان ما كان مما رويته فى الفصل السابق وبعد أن حرز المضبوطات .. وكانت عبارة عن نوتة مذكرات بها بعض الأفكار والموضوعات الصحفية .. أخرجنى الى طرقة طويلة وجدت بها بعض الذين سبق القبض عليهم ومنهم الشيخ محمد عبد الله الخطيب امام وخطيب مســـجد خورشيد وعديله الشـــيخ ركوة مكاوى .. والشيخ عبد الغنى موسى وعبد المنعم دحروج .. ووهبى الفيشاوى .. وأنور أمين وبعضهم أعضاء أسرتى وأيقنت عندما رأيتهم أن « أسرتى » كاملة معى .. ولكن أريد أن أقول ان الذى شد انتباهى كان فتى اسمر اللون .. ضخم الجسم فى عينيه بريق وفى ملامح وجهه الأسمر صفاء .. واطمئنان عقد ذراعيه على صدره وجلس .. عرفت فيما بعد أن اسمه احمد توفيق أحد الاخوة الذين سبق أن حكم عليهم بالسجن لمدة خمس سنوات وقضى مدته كاملة وخرج ..

* * *

الحربى .. شونة أحمد راسخ

وبقينا فى هذه الطرقة حتى بعد الساعة الثالثة مساء تقريبا فخرج علينا أحد الضباط وقال كلاما فهمنا منه أن نستعد للذهاب الى المكان الذى سنرحل اليه وكان معنا شاب عملاق .. فارع الطول قوى العضلات ولكنه يتوكأ على عصا لأنهم أحضروه من المستشفى التى كان يرقد بها .. فشكى للضابط المه .. فرد عليه الضابط بسخرية واستهزاء ..

ـ الست انت رشاد الجندى .. بتاع المانيا وكان اسمك الحركى كذا .. انت نسيت ؟! تعرف انت رايح فين .. انت رايح شونة أحمد راسخ .. رايح السجن الحربى وكان أحمد راسخ هو المسئول فى المباحث العامة عن الاخوان .. حتى ذلك الوقت ..

هبطنا السلم .. فوجدنا فى ساحة الوزارة عربتين فى انتظارنا وكنا حوالى اثنى عشر رجلا .. واحضروا رجلا آخر فى العقد السادس من عمره وهو يعرج ويتألم الما شديدا .. فعرفت أن اسمه محمد فريد عبد الخالق عضو الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين .. وهو وكيل وزارة الثقافة الآن وكان قد ناله قسط من العذاب الهمجى لا أدرى من المباحث العامة فى وزارة الداخلية أم هم قد أحضروه من معتقل القلعة ..

ركبت بجواره .. وانطلقت بنا السيارتان أولا الى سجن القلعة وفرحت ولكن أحد الضباط صحح مسار السيارة الأمامية وقال للسائق :

ــ اطلع على السجن الحربى ..

وسارت السيارتان فى طريق صلاح سالم ولم اكن طول عمرى قد ذهبت من هذا الطريق .. ولم أكن قــد عرفت مكان السجن الحربى من قبل رغم ما سمعت من حكايات عن مذبحة سنة ١٩٥٤ .

واخيرا وقفت السيارتان بنا امام بوابة كبيرة .. وضعت عليه لافتة مكتوبا عليها .. « السجون الحربيــة ــ تأديب واصـــلاح وتهذيب .. » .

فتحت البوابة ودخلت السيارتان بنا .. وركب معنا أحد الجنود حتى وقفت السيارتان فى داخل السجن أمام عدد من المكاتب هبط الضابطان ومعهما أوراق سلماها فى المكتب الذى دخـــلاه .. وتحركت السيارتان مرة ثانية حتى وقفتا أمام السجن الكبير ..

هبطنا من السيارتين .. وصفونا صفا واحدا .. وكان معنا أحد العمال فلم يقف فى الصف معتدلا فنالته الصفعات على وجهه وقفاه!! واحسسنا ان هذه هى البداية .. ومع ذلك فقد كان استقبالنا غير استقبال الذين جاءوا بعدنا .. لقد رأيت حفلات استقبال رهيبــة كانت تستقبل بها أفواج المعتقلين من الاخوان الذين جاءوا فى الأيام التالية لاعتقالنا !!

ادخلونا من بوابة السجن الكبير .. وسجلوا أســماءنا .. واوقفونا ووجوهنا للحائط .. ووقف خلفنا حارس .. وهددنا ان احدث اى منا اية حركة ..

طالت وقفتنا .. حتى جاء « الباتشويش » صفوت الروبى جلاد السجن الحربى .. واشـهر شخصية فى حكم جمال عبد الناصر بدأ صفوت الروبى يأخذ ما معنا .. من نقود .. وساعات واية اشياء اخرى .. ويضعها فى « منديل » ويكتب اسم صاحب المنديل عليه ..

بعد تسجيل الأمانات .. قادنا احد الحراس الى الدور الثالث

من السجن الكبير وادخل كل واحد منا « زنزانة » عارية من كل شيء .. ليس فيها اى غطاء أو فرش أو اى اناء ..

ادخلني الحارس .. واغلق الباب علي .. ضحكت .. واحسست انني استرحت مما كنت فيه .. وقلت لنفسي انني كنت كالصاروخ المنطلق يدور ولكن في غير مداره !!

جلست على ارض حجرة الزنزانة وكانت الشمس على وشك المغيب أنتظر ماذا سيحدث .. ولكن تغمرني السكينة وتملأني الطمأنينة ونسيت كل القصص التي سمعتها عن مذبحة السجن الحربي سنة ١٩٥٤ ..

بعد قليل فتح باب الزنزانة ودخل احد الحراس وبيده مكنة حلاقة امسك رأسي وبدأ يحلق شعري « زيرو » فقلت له :

ــ لماذا تحلق شعري .. ماذا أفعل لو خرجت غدا ؟!

فأجاب الحارس ..

ــ يا ريت الأمر يقف عند ذلك .. بسيطة لو خرجت اشتر برنيطة والبسها !!

وجاء الليل .. ولا زلت جالسا لا افكر في شيء خارج السجن لم افكر في زوجتي .. او في أولادي ولكني جعلت جدارا سميكا بيني وبين التفكير فيهم .. وقلت لنفسي هم في حال خير مني .. والله يتولاهم كما يتولاني !!

في الفترة بين المغرب والعشاء .. وربما بعد العشاء فتحت أبواب زنازين الدور الثالث الذي اسكن فيه وطلبوا منا الوقوف أمام أبواب الزنازين ليراجعوا اسماءنا على دفتر التسكين .. وعندما خرجت رأيت الأخ امام سمير أحد الاخوان الذين أمضوا مدة العقوبة التي حكم بها عليهم سنة ١٩٥٤ وكانت خمس سنوات .. وكنت أعرفه قبل دخوله السجن أول مرة والتقيت به مرات بعد خروجه من السجن .. سألني هو بروحه الفكهة .. العالية قال :

— ما الذى جاء بك الى هنا ؟!

قلت :

— الذى جاء بك جاء بى !!

قال :

— ان هذا بيتنا !!

قلت :

— وبيتى انا أيضا .. وضحكنا ..

بعد ان راجعوا اسماءنا أمرونا بالدخول مرة ثانيـــة كل الى زنزانته وصعد أحد الحراس واغلق الأبواب « بالأمان » ..

وبعد قليل سمعت فتح الأبواب .. وجاء الدور عندى ففتح الباب والقى الى « بطانية » واحدة .. حمدت الله عليها فرشت نصفها لأنام عليه .. وأستغطى بنصفها الآخر !!

وبعد قليل وجدت اناء يدفع من تحت عقب الباب أخذته فوجدته غطاء من الألمونيوم به قليـــل من ارز وقليل من شىء لا أعرفه .. أكلته وأنا أرغم نفسى .. وكدت أتقيأ .. وكان هذا هو العشاء ..

بعد العشاء وضعت حذائى تحت راسى كوســـادة وغرقت فى النوم .. نمت نوما عميقا مطمئنا .. واستيقظت مع أول شـــعاع نور للصباح .. على أصـــوات أبواب تفتح وصـــوت الحارس يصرخ :

— اجر .. يا ابن ا‘ـــ .....

وقفت على « نظارة » باب الزنزانة .. وهى فتحة فى الباب سعة العشرة قروش الفضية أو أكبر قليلا .. أخذت أرقب الخارجين

الى دورة المياه فى الدور الثانى لأتعرف عليهم فعرفت الأستاذ محمد قطب .. وعرفت الأخ مبارك عبد العظيم ولكن هالنى منظر الأخ حبيب عثمان الذى كان قد قبض عليه أوائل شهر أغسطس سنة ١٩٦٥ وكانت لحيته كثة وغزيرة الشعر .. والشعر يغطى وجهه كله ولا ترى الا أنفه وعينيه فقد استطال شعره حتى ذكرنى للنظرة الأولى بالفتية فى قصة أهل الكهف ورأيت بين من رأيت الأخ محمد الغزالى الصغير ابن أخ الحاجة زينب وكان شابا صغير السن ذكيا ونشطا وسريع الحركة ورأيت شبابا غيره أقر الله بهم عينى وزادنى طمأنينة وسكينة وغمرتنى سعادة وقلت لنفسى ..

احمدك يارب أننى فى زمرة هؤلاء الشباب الطاهر المجاهد .

كان الحارس يفتح من الدور الثانى زنزانة بعد زنزانة فيخرج من فى الزنزانة وغالبا ما كانوا ثلاثة أو أربعة احدهم يحمل قصرية كاوتش من بقايا الاحتلال الانجليزى لمصر .. تستعمل اما للبول والبراز واما لمـاء الشرب .. واما لهما معا !!

كان أفراد الزنزانة يذهبون الى دورة المياه يفرغون القصرية ويدخلون الدورة لقضاء حاجاتهم ولكن على عجل .. ويحاولون احضار بعض المـاء بعد أن يغسلوا « القصرية » من مجرى الماء الذى يذهب الى الدورة من النافورة التى تتوسط السجن .. نفس المجرى الذى تشرب الكلاب منه .. وتغسل فيها أوانى الطعام .. وتغسل فيها قصارى البول .. وتملأ منها مياه للشرب !!

جاء الدور على زنزانتى ففتحت وحملت « القصرية » وفتح الحارس زنزانة جارى الشيخ محمد الخطيب وزنزانة جارى الآخر وهو الأستاذ محمد فريد عبد الخالق .. هبطنا السلم .. دخلت دورة المياه سريعا ثم غسلت قصرية البول وملأت نصفها ماء من المجرى وكنت أشرب منه حتى تغير طعمه وصار له طعم البول عافته نفسى فتوقفت عن الشرب .. وهكذا كان يحدث كل يوم لأن الوقت كان صيفا .. وكان الحراس لا يسقوننا ..

سألت الأستاذ محمد فريد عبد الخالق ..

ـ هل معك مصحف ؟!

قال :

ـ نعم ..

قلت :

أعطنى نصفه ..

فأعطانى الرجل اكرمه الله من سورة الفاتحة حتى آية « ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة .. » فى سورة التوبة وكان ما يقرب من ثلث القرآن .. كنت بعد ان افرغ من « الدورة » اعود وقد توضأت فأجلس لأتلو هذه الاجزاء وكنت اقراهذا القدر كله كل يوم .. واحسست أن القرآن بحق كما وصفه ربنا .. رحمة .. ونور .. وهدى وحيـــاة للقلب .. كان جليسى فى وحـــدتى التى استمرت اثنى عشر يوما . كانت الأيام الأولى من دخولى السجن الحربى اى الأسبوع الأخير من اغسطس سنة ١٩٦٥ هادئة تمت فيها عملية القبض على الذين اعترف عليهم على عشماوى بعد القاء القبض عليه بساعات قليلة وبدأت عمليات التحقيق والتعذيب بعد ذلك ..

وكان اول من رأيته ممزقا .. لا يقدر على السير على قدميه والحارس يستحثه ليسرع بالضرب على ظهره بالســـوط .. هو صبرى عرفه الكومى .. وكان قد زارنى مرة واحدة قبل دخولنا السجن وكان يسكن فى احدى زنازين الدور الثانى وكان الوقت بعد الظهر فتح الحارس عليه باب الزنزانة وساقه امامه بالكرباج حتى خرج هو والحارس من بوابة السجن وانتهت رؤيتى لهمـــا وبدأت مجزرة السجن الحربى تشتد ابتداء من الأيام الأخيرة من شهر اغسطس ١٩٦٥ .. وكانت التحقيقات تبدأ مع ظلام الليل .. وتستمر عملية فتح الزنازين واخذ المطلوبين للتحقيق طول الليل .. وكانت خطوات الحراس بأحذيتهم العسكرية تملأ قلوبنـــا بالرعب ولا يطمئن احدنا الا بعد فتح زنزانة غير زنزانته واخذ أحد غيره .. ولكن كل واحد منا قد فتحت زنزانته مرات ومرات واقتيد فى الليل

المظلم الى حيث لا يدرى .. وكثيرون ممن ذهبوا الى التحقيق عادوا أشلاء ممزقة .. وبعضهم لم يعد الى زنزانته ان كان من سكان الأدوار العالية فيلقى فى أحد زنزانات الدور الأرضى .. والبعض ذهبوا به مباشرة الى المستشفى ومنها الى صحراء المقطم ليدفنـــوه !!

لقد كانت فترة النهار فترة طمانينة بالنسبة لنا .. لأن التحقيق يتوقف فيها وكنت أقضى وقتا طويلا منها على نظارة الزنزانة أتصفح وجوه الاخوان وأتعرف من بينهم على من كنت أعرفهم خارج السجن وفى الأيام الأولى رأيت ما أضحكنى .. وأبكانى فى نفس الوقت رأيت الشيخ عبد الغنى موسى أحد الذين ألقى القبض عليهم معى .. وهو رجل فى العقد الخامس من عمره وقور ضخم له لحية .. رأيته وقد حلقوا له نصف لحيته .. ونصف شــاربه بصـــورة ممسوخة .. أضحكتنى وأبكت قلبى .. ورأيت نفس الصورة ولكن لم تضحكنى ولكنها أحنقتنى وملأت قلبى غيظا .. رأيت الشيخ محمد عبد المقصود العزب وهو رجل جاوز الخمسين ذو لحية بيضـــاء تماما طويلة .. وقد حلقوا له نصفها .. والرجل نحيف الجسم .. ضعيف النظر فقدت احدى عينيه النور بسبب التعذيب .. ورأيت الحارس « سمبو » يضربه بقبضة يده .. على عينه فبكى الرجل وما أقسى على النفس من بكاء شيخ وقور !!

بمرور الأيام .. بدأت عملية تضميد جراح المعذبين وتنظيفها من الصديد الذى نتج من عمليات التعذيب وكان الحارس « صلاح » يحضر يوميا فى حوالى الساعة العاشرة صباحا .. وتفتح الزنازين على الجرحى فيخرجون « للغيار » .. وكان منظرا فريدا لا أظن أنه سيمحى من ذاكرتى حتى أموت .. كان طابور المعذبين أحد ملامح السجن الكبير .. كنت أقف على نظارة زنزانتى أنظر فأرى عجبا .. أحد الاخوان يزحف على مقعدته بطريقة جعلتنى أنفجر فى البكاء .. وآخر يمشى على قدميه ويتساند على سور السجن بطريقة كمن يمشى على الجمر وثالث يزحف على ركبتيه ومرفقيه .. بطريقة أغرب من الخيال .. والسبب فى الصورة الأخيرة أن طريقة التعذيب التى كانت تتبع مع معظم الاخوان هى « التعليقة » فى « الفلكة » وكانت تتكون من قضيب حديد طوله ما يقرب من مترين

وسلسلة حديد أو حبل يقيد « الضحية » من يديه ورجليه بطريقة معينة ويرفع الى أعلى فى وضع اشبه بالذبيحة .. رأسه الى أسفل ويداه ورجلاه الى أعلى .. ويبدأ حارسان أو أربعة حراس يمزقون الضحية .. بالسياط .. ويكون الضرب فى هذه الحالة على القدمين والساقين واليدين حتى المرفقين ..

هذه صورة من صور التعذيب كانت شائعة ويكاد لم يفلت منها أحد الا فى حالات نادرة ..

وتزداد قسوة التعذيب عندما تعلق « الضحية » أكثر من مرة فى اليوم الواحد .. أو يعذب فى عدة أيام .. ان الانسان عندما يعذب بالضرب بالسوط يفقد احساسه بالألم بعد قدر معين من التعذيب ويكون عمل السياط فقط هو تمزيق الجسد .. وكان الاخوان من خلال تجربتهم فى مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٥٤ أدركوا هذه الحقيقة ولكنهم كانوا لا يكفون عن الصراخ حتى لا يفطن الجلادون الى ذلك ولكن فى مجزرة السجن الحربى ١٩٦٥ كان الجلادون يدركون هذه الحقيقة فكانوا يمزقون الأخ « الضحية » .. فترة من الوقت ثم يتركونه ويطلبون منه أن يجرى ويكون السير فى هذه الحالة نوعا من العذاب الأليم .. ويكون الضرب « بالكرباج » على الظهر وقد يقف الحراس فى شكل دائرة ويدور حولهم الضحية فيعطيه كل منهم ضربة بسوط .. أو ركلة بقدم أو صفعة بيد !!

ثم يعاد مرة ثانية ويعلق فى « التعليقة » وتعود السياط تمزقه مرة ثانية .. ويكون الألم فى هذه الحالة أضعاف أضعاف الألم فى أول مرة .. فما أقسى الضرب على الجراح !! وأحيانا يعذب الأخ ويمزق جسده ثم يترك أياما قليلة وتكون جراحه قد بدأت تندمل فيطلب الى التحقيق ويعذب وتمزق السياط أربطة جراحه الأولى وتكون السياط أشد من مس النار !!

وكان طابور المعذبين الجرحى يزداد عدده بمرور الأيام وكان العدد اليومى يقرب من مائة جريح معذب .. !!

بعد اثنى عشر يوما قضيتها فى زنزانتى منفردا .. ادخلوا على

رجلين أحدهما أحد أعيان قرية أبو الفيط واسمه الحاج عبد الغنى ابراهيم .. مزارع لا علاقة له بالاخوان ولكن أخوه كان صديقة للشهيد الشيخ عبد الفتاح اسماعيل ولما ذهبوا ليقبضوا على أخيه لم يجدوه فأحضروه هو وكان خلال الأيام الأولى التى قضاها معى يستعجل القبض على أخيه ظنا منه انهم حين يقبضون على أخيه سوف يفرجون عنه .. ولكن خاب ظنه عندما رأى أخاه .. وابن عمه وآخرين من قريته ولكنهم لم يفرجوا عنه الا بعد شهور عدة أما الرجل الآخر فهو من الاخوان .. وممن حارب فى فلسطين وحوكم سنة ١٩٥٤ .. وبرأته المحكمة العسكرية ــ كما روى لى ــ ولكنه بالرغم من ذلك كان منهارا . ضيق الصدر متبرما ساخطا وعندما جاء وقت آذان العصر وأردنا أن نصلى طلب أن يصلى كل منا بمفرده .. فثرت عليه .. وقلت له :

ــ ما علاقة الصلاة بالاخوان ؟! .. هل الصلاة تهمة ؟!

وبدأت أتحدث معه حتى هدأت نفسه قليلا .. ولكن بقي شكى فيه حتى آخر لحظة ولم أعترف أمامه أننى من الاخوان المسلمين ولم أتحدث عن أى نشاط لى خارج السجن وكان بالنسبة لى زنزانة داخل الزنزانة .. وهذا وجه آخر للمحنة التى عاشها الاخوان أثناء حكم جمال عبد الناصر وهو أن المباحث العامة استطاعت أن تفتن الكثيرين عن دعوتهم وصنعت منهم جواسيس على اخوانهم وهؤلاء هم كتاب التقارير بالحق أو بالزور .. وبعض هؤلاء أسف الى درجة كبيرة .. والبعض الآخر ممن أيدوا النظام وتبرعوا من الاخوان لم يسمح لنفسه أن تنحدر الى هذا الدرك الأسفل من الأخلاق !!

وفى صباح أحد الأيام ادخلوا علينا رجلا فى الخمسين من عمره اسمه حسب النبى خير الدين وهو رجل أمى .. عامل بشركة نسيج المحلة فيه حياء المؤمنين وصلابة الايمان .. وأمن الاسلام وطمأنينته .. دخل الرجل علينا فكان لى والدا .. وكان لى معينا على مواجهة المحنة . لقد أرسله الله لى رحمة .. لأن الرجلين الأولين .. كان أحدهما ليس من الاخوان وينتظر الافراج بين

حظة واخرى .. والرجل الآخر من الاخوان ولكنه منهار .. ولكن
مى حسب النبى كان مؤمنا .. صلبا . ثابتا .. راضيا ..
تصقت به وبدأت أشغل وقتى ووقته بتعليمه القراءة فى المصحف
. كان الرجلان ينامان وقت القيلولة وكنت أجلس مع عمى حسب
نبى أصحح له قراءته فى المصحف .. وعندما نجهد من القراءة
طلب منه أن نستغفر أو أن نقول مائة مرة : حسبنا الله ونعم الوكيل
. أو نسبح .. وكان الرجل يتجاوب معى ..

بقيت مع هؤلاء الثلاثة اربعين يوما .. حتى نقلت الى الزنزانة لمجاورة مع الأخ الشيخ محمد عبد الله الخطيب وسيد النجيحى لمقاول بمدينة فاقوس ..

وقد حدث أثناء اقامتى فى الزنزانة الأولى أن فتح علينا الحارس زغلول » .. كأنه الشيطان تجسد فى صورة انسان .. دخل علينا واخذ يصفع كلا منا صفعات على وجهه .. ثم امسك الحاج عبد الغنى فلاح قرية « أبو الغيط » واراد أن يلقيه على الأرض ولكن الحاج عبد الغنى كان عملاقا .. لو كان فى حريته لصرع الحارس « زغلول » بضربة واحـــدة من يده عزت عليه نفســـه فلم يمكن الحارس منه ليلقيه على الأرض فاغتاظ زغلول واخذ يصفعه بيديه على أذنيه فترة طويلة ولمـــا انتهى خرج واغلق خلفه الباب فاذا بالحاج عبد الغنى يغلق فمه وينفخ فاذا بالهواء يخرج من أذنه الشمال يعنى : خرقت أذنه !!

واذكر يوما أثناء اقامتى فى نفس الزنزانة دخل « صفوت الروبى » جلاد السجن الحربى اثناء فترة الدورة الصباحية فلم يعجبه النظام لأن الحراس لا يضربون المعتقلين أثناء الذهاب أو العودة من الدورة .. فجمـــع الحراس واغلقوا ابواب الزنازين علينا وامســـك « بالكرباج » وجلدهم جميعا على أقدامهم بصورة قاسية ودهشنا من ذلك .. ولكن أدركنا السبب بعد ما يقرب من ثلاثة أيام .. لقد تركونـــا دون دورة أياما .. حتى أننـــا اضطررنـــا للتبرز فى « القصرية » الكاوتش ولمـــا طال الوقت انبعثت من « القصرية » رائحة لم نطيقها فغطيناها بقصرية الميـــاه .. ولما امتلأت القصرية

بالبراز اضطررنا أن نتبول فى الزنزانة حتى خرج البول من باب الزنزانة !!

ثم بدأوا يخرجوننا الى الدورة لكن هذه « العلقة » التى أعطيت للحراس أيقظت الوحش الكامن فى أعماقهم وفجرت الغيظ والحنق فى نفوسهم فساموننا سوء العذاب .. وكانت الدورة طابور تعذيب وليست قضاء حاجة !!

كانوا يتحججون لنا بأية حجة ليضربوننا .. ويل للواحد منا لو نظر لأخيه بعينه ولمحهما الحارس .. كان ذلك جناية .. يعطيك نصيبك من اللكمات او الضربات بالكرباج على يديك وكان الوقت شتاء .. والبرد قارسا .. ولم تكن تعطى لنا فرصة قضاء الحاجة كاملة .. كان الحارس يقف على الباب وبعد أقل من ثلاث دقائق يضرب الباب بقدمه ويفتحه عليك .. وقد يضربك بالكرباج مع اقذر الوان السباب .. ثم تخرج فتقف فى الطابور وويل للمجموعة لو اخطأ واحد منها .. يصرف لكل واحد عدد من الضربات بالكرباج على اليد .. أو يصفع عدة صفعات !!

كانت فترة الدورة تبدأ مع أذان الفجر .. بل أن أحد الحراس وكان اسمه « على الأسود » وهو أسود حقيقى وقصير جدا .. ولكنه فيه شىء من الذكاء .. فى أحد الليالى استيقظ فى حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. وأراد أن يسلى نفسه وكان حكمدارا للسجن فى هذه الليلة فبدأ يفتح علينا للدورة فى هذا الوقت من الليـــل !!

وقبل أن أترك الحديث عن زنزانتى الأولى .. أقول أننى فى هذه الزنزانة تلقيت درسين هامين الدرس الأول هو أن باب الايمان .. هو الطاعة لله وكلما ازددت طاعة لله ازداد ايمانك .. وهـــذه الحقيقة كانت خافية عنى خارج السجن لقد كنت أظن أن الايمان هو الاقتناع العقلى ولكن تبين لى أن حقيقة الايمان ليست مجــرد الاقتناع العقلى فالاقتناع العقلى جزء من الايمان ولكن الايمان الحق أمر أكبر من مجرد عمل العقل الايمان أمر يحسه قلب الانسان بل أقول « كينونة » الانسان بما فيها العقل ..

أما الدرس الثانى .. فهو الاستسلام لأمر الله .. والتوكل عليه والركون اليه .. والثقة فيه والأمان الى جواره كل هذا تعلمته من عمى حسب النبى خير الدين عامل النسيج الأمى .. الثابت .. الراضى .. المطمئن .. الواثق بالله .. والمتوكل عليه .

* * *

فى أول مرة أخرج فيها للتحقيق .. كان الوقت قبل المغرب بقليل .. فتح الحارس باب زنزانتى وسألنى عن اسمى .. فلما تأكد منه قال لى ..

ـ اجر .. يا ابن الـــ ..

وخرجت حافى القدمين .. أجرى أمامه حتى لا يضربنى .. نزلت الى حوش السجن .. وامسكنى الحارس من كتفى وسار بى تجاه بوابة السجن فسجل اسمى .. وقال لى : امش مشية عسكرية من حديد .. راسك الى أعلى .. وارفع يديك واضرب الأرض برجليك .. ونفذت الأمر .. ووصلت الى المكاتب أوقفونى على باب حجرة كتب عليها « مكتب أركان حرب السجن » وجاء أحد أفراد الشرطة العسكرية وقال لى :

ـ طبعا انت بتصلى .. فعلامة الصلاة فى وجهك ؟!

قلت :

ـ نعم .. ؟!

قــال :

ـ وظاهر انك بتلعب حديد .. جسمك باين عليه ..

قلت :

ـ انا كنت زمان وانا طالب العب سويدى .. وحديد ..

كنت اتكلم بطمأنينة .. ولم يدخل الخوف داخلى .. وكنت عاقد النية على الا اعترف بكلمة واحدة .. ولا مانع عندى من المراوغة .

بعد فترة .. أدخلونى على ضابط من ضباط الشرطة العسكرية اسمه « هانى » طلب منى أن أحكى له تاريخ حياتى .. ابتداء من سنة ١٩٥٤ حكيت .. وبدأ يسألنى أسئلة وقحة يريد بهـا السخرية بى والاستهزاء منى .. ولكنه لم يأمر بضربى ..

أعادنى الحارس الى الزنزانة ولم أطلب الى التحقيق الا بعد أربعين يوما ..

بدأت عملية التحقيق تنشط بعد القبض على الكثير من الاخوان والذى لم يستغرق أكثر من أسـبوع بدأت باعتقال على عشماوى الذى اعترف بعد ساعات من اعتقاله واسـتطاع شمس بدران وزبانيته أن يقنعوا على عشماوى بالاعتراف الكامل .. وكان على عشماوى كما قلت ذا ذاكرة قوية .. فذكر كل شىء .. حتى أدق التفاصيل .

وكان شهر سبتمبر شهر الموت .. بل أقول شهر استشهاد للاخوان داخل السجن الحربى .. لقد استشهد فيه محمد عواد .. واستشهد فيه اسماعيل الفيومى الحارس الخاص لجمال عبد الناصر .. ومحمد على عبد الله المدرس بقرية كفر شكر ومحمد منيب عبد العزيز أمين مكتبة كلية العلوم . جامعة أسيوط .. وستأتى قصة استشهاد كل واحد من هؤلاء فى الأبواب التالية ان شاء الله ..

وخلال الأشهر الخمسة الأولى فى السجن الحربى وهى شهور التحقيق لم يكن النوم بالليل ممكنا لأن حركة فتح أبواب الزنازين وأخذ الاخوان منها والذهاب بهم الى مكاتب التحقيق ثم العودة بهم وادخالهم الى الزنازين تملأ نفوسنا بالرعب .. لأن كل واحد كان يتوقع أن يؤخذ فى أى لحظة .. وكنا عندما نسمع خطوات الحارس خارج الزنزانة كانت قلوبنا تخفق فزعا ولا تستقر حتى تبتعد ويذهب الحارس الى أحد الزنازين ويأخذ منها من يأخذ .. ولا أنسى كلمة الشيخ محمـد عبد الله الخطيب الذى زاملته فى الزنزانة الثانية يعبر بهـا عن احساسه من حركة الحراس خارج الزنازين .. فكان يقول :

ـ انهم يغوصون بأحذيتهم فى قلوبنا !!

وكان اخوان الزنزانة الواحدة اذا أخذ أحدهم يظلون سهرانين حتى يعود أخوهم ليطمئنوا عليه وكثيرا ما كان يحدث الا يعود .. ولكن يعود اليهم الحارس ليأخذ حاجاته ان كان له حاجات .. وفى هذه الحالة أما ان يكون الأخ قد مزقوه حتى اصبح لا يستطيع ان يسكن فى نفس الزنزانة التى أخذ منها .. أو يكون قد انضم الى قائمة الشهداء !!

ارتسم الألم على اوجه الاخوان .. ولكن فى صبر وتحمل وثبات وكان اشد الم الاخوان هو المهم من رؤية جراحات بعضهم .. كان كل منهم يتألم لألم أخيه ..

واذكر اننى وقفت يوما انظر من نظـــارة زنزانتى الأولى وقت خروج المعذبين للغيار على جراحاتهم فلما رايت السيد نزيلى وكمال الفرماوى وهما من قريتى كرداسة وكانا قد عذبا عذابا شديدا انفجرت فى بكاء حاد وبصوت عال حتى خاف من معى فى الزنزانة فطلبوا منى خفض صـــوتى حتى لا يسمعنى الحـــارس وتكون مصـــيبة !!

لقد كانت الوان التعذيب أحيانا فوق احتمال العقل البشرى .. فلقد جن البعض .. ولقد رايت بعينى من نظارة باب زنزانتى أحد سكان الدور الأرضى يقف عاريا كما ولدته أمه مسندا ظهره الى الحائط ويقف الحارس امامه وبيده « كرباج » يضربه به بين الحين والحين وهو يطلب منه أن يدخل الى زنزانته ورايته مرة أخرى عاريا أيضا وهو يجلس على الأرض فانحنى عليه الحارس ليكلمه .. فاذا بالرجل أراد ان يصفع الحارس وبعد أيام رايت حارسين يحملان الرجل على نقالة ويخرجان به خارج السجن الكبير !!

بل لقد وصل التعذيب الى حد الموت .. وقد رايت بعينى راس جثتين تؤخذان لتدفنا خارج السجن .. فى ليلة من الليالى أطفئت الأنوار فى حوش السجن على غير العادة وسمعت صوت سيارة داخل السجن فوقفت على النظارة لأعرف ماذا يحدث فلم ار شيئا لشدة الظلام فوضعت أذنى فسمعت أصواتا وعدت أنظر من جديد

فرايت اشباحا تتحرك وتصعد الى الدور الثانى ويهبطون وهم يحملون شيئا وضعوه فى العربة الجيب التى رأيتها عندما اضـــاء الحارس خطأ نور السجن ثم سرعان ما اطفىء النور فوضعت اذنى وسمعت موتور العربة يدور من جديد وخرجت السيارة واضىء النور ورأيت حارسين يحملان « غلقا » .. وفأسا .. وكوريكا ولحقوا بالعـــربة .. وبعد قليل رأيت الحـــراس يصعدون الى الزنزانة التى فتحوها وحملوا منها من حملوا واخرجوا منها عددا من البطاطين .. وتكرر دخول العربة الجيب مرة ثانية واطفئت الأنوار ودخلت العربة حتى وقفت أمام زنزانة فى الدور الأرضى مواجهة لبوابة السجن وحملت من حملت وخرجت ولـــا اضىء النور رايت الحراس يخرجون من الزنزانة البطاطين ويحضرون جرادل الماء وغسلوا الزنزانة !!

كانت التحقيقات تستمر طول ليالى الأسبوع وتتوقف ليلة الجمعة وكانت تلك هى الليلة الوحيدة التى ننام فيها بأمان لأن عملية فتح الزنازين تتوقف .. ونكون قد استرحنا من بعض الحراس الذين كانوا ينزلون فى أجازة من السجن ..

وكان يوم الجمعة هو يوم النظافة .. يعطوننا فرصـــة لكى نغتسل ونغسل ثيابنا .. ولكننا لم نكن نملك ملابس الا ما حضرنا به من منازلنا .. وكثير من ملابس الاخوان مزقت أثناء التعذيب .. لأن بداية التحقيق هو تمزين ما على الأخ من ثياب .. وبالذات القميص أو الجلباب .. وكان صفوت الروبى هو الذى يقوم بتلك العملية .. لكن اذا كان القميص جديدا .. وغالى الثمن يأخذه صفوت او يأخذه الشاويش نجم مشهور !!

كنا يوم الجمعة نستحم بالماء البارد .. وكان الوقت شتاء .. المهم لابد أن نستحم وتغسل ما عليك من « هياكل » لملابس داخلية .. ولابد من تنفيذ الأوامر وأذكر هنا حادثة رويت وشاعت بين الاخوان وهى أن المرحوم الشيخ الأودن رحمه الله رحمة واسعة وكان شيخا قد جاوز السبعين من عمره وسجنوه مع عدد من الكلاب التى كانت تنبح وتتبرز فى حجرته وكان الرجل مريضا .. كان الحراس يلقون عليه بقصرية المـــاء البارد وهو بملابسه !!

واحيانا كان يوم الجمعة يتحول الى يوم غم .. ففى احـد أيام الجمعة .. بعد أن انتهينا من دورة الميـاه واستحممنا واغلقت أبواب الزنازين علينا .. وقف أحد الاخوان ينظر من نظارة زنزانته فلمحه حمكدار السجن .. وكانت رتبته لا تزيد عن « أمباشى » بشريطين فذهب الى الزنزانة وفتحها وأخرج واحدا منها وأوقفه فى فناء السجن ووقف الحراس حوله .. ووقفت أنا وراء نظارة زنزانتى فى الدور الثالث بطريقة لا يروننى ورأيت مجموعة الحراس يتبارون فى ضرب الأخ .. ومن منهم يستطيع أن يطرحه على الأرض بصفعة واحدة من يده على وجهه وطبعا كان الأخ يحاول أن يلقى بنفسه فور ضربه .. ولكن انتهى الموقف بان طرحوه على الأرض ووضعوا رجليه فى الفلقة ووقف حمكدار السجن على رأسه ووضع حذاءه الكاوتش فى فم الأخ حتى يكتم صرخاته !!

وفى أحد الأيام بعد عودتى من الدورة وقفت العب سويدى حتى أستدفىء وكنت أتوقف عندما اسمع خطوات الحارس قريبا من باب الزنزانة ووقفت أنظر فرآنى .. وكان اسـمه « النـوبى » ففتح الزنزانة وصمم على أن يكربجنى على رجلى وكان الجو باردا .. وضرب الكرباج رهيبا .. رجوته كثيرا ليعفو عنى .. فصفعنى صفعات وأراد أن يسوقنى الى امباشى السجن واسمه « على حافظ » وكان أصفرا حقودا فلما الححت فى الرجاء طلب منى أن أرقد على ظهرى وأرفع قدماى ليكربجنى هو .. وكان الجـو باردا .. وما أقسى أن تجلد بالكرباج فى البرد .. وكان لابد مما ليس منه بد .. جلست ورفعت قدماى .. وكربجنى العسكرى النوبى بالكرباج لأول مرة داخل السجن الحربى ..

* * *

فى ساحات .. التعذيب !!

ان مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٦٥ كانت تنفذ على أسس علمية دقيقة وقد درب منفذوها تدريبا طويلا فطبقوا علينا أساليب الاستنطاق وانتزاع الاعترافات التى عرضها صلاح نصر فى كتابه الحرب النفسية تطبيقا حرفيا .. وكانت النتيجة عشرات الضحايا مضوا الى ربهم شهداء وآلافا آخرين قضوا ما يقرب من عامين فى عذاب فاق على وجه اليقين ماروته كتب التاريخ عن الاضطهاد الدينى أيام حكم الرومان وما سجله التاريخ عن فظائع محاكم التفتيش ومعسكرات النازى ..

ولقد اتبع شمس بدران فى انتزاع الاعترافات من الاخوان المسلمين الأساليب التى اتبعها الشيوعيون فى الاستجواب سواء تلك التى لجأ اليها ستالين فى حركات التطهير التى قام بها قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة أو تلك التى استخدمها الصينيون مع كثير من الأسرى فى الحرب الكورية وكذا مع كثير من الصينيين المناضلين للشيوعية .

ويقول صلاح نصر فى كتابه الحرب النفسية فى الفصل الذى عنوانه « الاستجواب وخداع الاعتراف » :

« كانت الاستجوابات تستمر لساعات ولأيام بل حتى لأسابيع وفى بعض الأحوال كان المحقق يعيش مع من يستجوبه ويحاول أن يخلق معه جوا من الصداقة .. »

« وكانت النقطة الأساسية على ما يبدو هى جعل الأسير يتكلم دون تحديد موضوع يدور الحديث حوله .. » (١)

« وكانوا يستخدمون استمارات مطبوعة بقصد الحصول على تاريخ شخصى كل أسير وشددوا بخاصة على الماضى الثقافى لكل أسير ومستواه الاجتماعى .. »(٢) .

« وقد استخدم الصينيون كل أشكال التهديد من انذار بالموت أو عدم الاعادة الى أوطانهم ، أو التعذيب أو انقاص كمية الغذاء »

« على أن العقوبة التى استخدمت فعلا كانت « الحبس الانفرادى »(٣) .

« وكان للعقوبات البدنية التى وقعها الصينيون على الأسرى اثر كبير فى انهيار الكثير منهم وهذه العقوبات هى على سبيل المثال :

- القيام بعمل عنيف مجهد .
- الوقوف فى الوضع انتباه لفترات طويلة .
- التعرض للحرارة الشديدة أو البرد الشديد .
- الحبس الانفرادى فى غرفة ضيقة لا تمكن الأسير من الجلوس أو الرقاد وكانوا يطلقون على هذا النوع من الحبس الانفرادى الاسقاط فى الحفرة .
- الوقوف على أطراف أصابع القدمين .
- الابقاء فى حجرة قذرة دون السماح له حتى بازالة الضرورة فى الأماكن المعدة لذلك » (٤) .

---

(١) الحرب النفسية ج ٢ ص ١٨٨
(٢) الحرب النفسية ج ٢ ص ١٩٠
(٣) الحرب النفسية ج ٢ ص ١٩٢
(٤) الحرب النفسية ج ٢ ص ١٩٣

لقد نفذ المحققون من رجال الشرطة العسكرية هذا الأسلوب مع الاخوان فلقد استمر التحقيق مع بعض الاخوان أكثر من شهر وكان الأخ يؤخذ من بداية التحقيق فى الفترة المسائية من النهار ويبقى أمام مكاتب التحقيق حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى .. وقد يتركوه واقفا ووجهه الى الحائط وخلفه الحارس .. ويطلب الحارس منه أن يقف انتبـاه .. أو قد يجلسوه ووجهه للحائط ولا يستطيع أن يلتفت يمنة ولا يسرة .. وكان الجو شـتاء والبرد قارسا وقد مزقت ملابس الاخوان سواء قام الصفوت الروبى بذلك عمدا قبل بداية التحقيق أو مزقت بفعل السـياط التى مزقت الأجساد ايضا ويقضى الاخوان الليـل بطوله فى هذا الوضـع وقد تمطر السماء عليهم وهم هكذا ولا يستطيعون أن يتحركوا .. كما ان الاخوان فى هذا الوضع لا يستطيعون أن يناموا .. او أن يأخذهم النعاس لأن الحـراس يقظون وفى أيديهم « الكرابيج » يلهبون بهـا الظهور بين حين وحين ..

بل ان كثيرا من الاخوان كانوا يؤخذون الى مكاتب التحقيق حتى بعد أن حقق معهم ولم يعد لهم بهم حاجة الا قصد الارهاق والتعذيب وأذكر من هؤلاء عبد الحميد عفيفى من قرية الشـهيد اسماعيل الفيومى والمهندس فاروق الصـاوى .. والمهندس طاهر سالم وغيرهم كثير ..

وكانت النقطة الأساسية التى كانت تتبـع فى التحقيق هى جعل الأخ يتكلم دون تحديد موضوع يدور الحديث حـوله .. نفس الأسلوب الشيوعى .. بينما يسجل أحد الكتبة .. ثم يستعاد الأخ فى رواية ما قال مرة ومرات .. والأخ فى حالة من الارهاق الشديد والاضطراب والقلق لا يستطيع أن يركز ذهنه فيما قال أول مرة .. ولا شك أن بهذه الطريقة استطاعوا أن يحصلوا على كل ما لدى الاخوان من معلومات ..

ثم يعطـون « الأخ » أوراقا وقلما ويطلبون منه أن يكتب كل ما قال بخط يده .

لم يكن بطبيعة الحال الأمر سهلا للحصول على تلك المعلومات ببساطة لأن شباب الاخوان تميزوا بالصلابة والثبات والصبر ولم

يكن الذكاء ينقصهم ولكن العذاب كان فوق الطاقة البشرية كان العذاب رهيبا بصورة افظع من الموت نفسه حتى ان الموت كان امنية الكثيرين حتى يضع نهاية لهذا العذاب الرهيب .. لقد استخدموا الأساليب الجهنمية فى انتزاع الاعترافات ولم تحل بينهم اية قيمة من القيم الانسانية .. كانوا يضنون بالموت على الاخوان حتى لا يستريحوا من العذاب .. واذكر أن الدكتور محمود عزت قال لى أن الجلاد صفوت الروبى كان يصرخ بأعلى صوته مخاطبا الشهيد عواد قائلا :

ـ يا عواد اذا كان ربنا عنده جهنم احنا كمان عندنا جهنم !!

لقد نسوا الله تماما .. بل لقد تطاولوا على ذاته سبحانه .. وكانت القولة المشهورة التى قالها أكثر من واحد وعلى رأسهم حمزة البسيونى : « لو نزل الله من السماء لوضعناه فى زنزانة !! » سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا !!

لقد استخدموا « الكرابيج » .. و « المرزبة » واستخدموا الكلاب .. والنفخ فى الدبر .. والحرق بالنار .. والمس بالكهرباء . .والاغراق فى الماء البارد .. والحبس الانفرادى مددا طويلة ، واذكر أن الشيخ محمد المطراوى امام وخطيب مسجد السيدة زينب بقى أكثر من ستة أشهر فى زنزانة منفردا !! كما أنه قد كوى بسيخ محمى أسفل ذقنه ومازال أثره باقيا .

وكانت كلاب التعذيب ما أكثرها فى السجن الحربى سواء كانت من البشر أو من الحيوان .. كان لحمزة البسيونى « مستعمرة » داخل السجن الحربى يزرع فيها الخضار وبعض اشجار الفاكهة ويربى فيها الطيور ويخزن فيها تعيينات الجيش .. وكان داخل هذه المستعمرة أماكن لعدد من الكلاب عبارة عن « عششش » صغيرة مساحة كل منها متر × متر وارتفاعها متران .. يحبس فيها الكلب .. ولا يقدم له الطعام حتى يجوع ويشتد جوعه فكانوا يحضرون الكلب وهو مدرب ويقدم له الأخ فيمزق جسمه ..

وكان هناك استعمال آخر للكلاب كانوا يحبسون عددا من الكلاب داخل حجرة واحدة مع الأخ ولفترة طويلة وهذا النوع من

الكلاب ليس من النوع الأول ولكن عبارة عن الكلاب العادية المتواجدة داخل السجن وتعيش فى حرية وكلها كلاب بلدى .. ولكن الغرض من حبسها مع الأخ ليس بقصد أن تنهشه أو تمزق جسده انما بقصد الازعاج فهذه الكلاب كانت اذا حبست تترك « الأخ » وتفزع هى الى باب الزنزانة وتضع فمها تحت عقب الباب وتأخذ فى النباح ليلا ونهارا فتقلق راحة الذى تعيش معه وكل الذين يجاورونه سواء كانوا بجانبه أو كانوا أعلى منه أو أسفل منه . بالاضافة الى أن هذه الكلاب تتبرز فى الحجرة وينشأ عن ذلك رائحة كريهة لا يطيقها الانسان .. وتستمر هذه الحبسة فترات طويلة وأحيانا أصيبت بعض تلك الكلاب بالكساح نتيجة البرد والبقاء على أسفلت الزنزانة لفترات طويلة .

وكان الموت والتهديد بالموت وسيلة من وسائل التحقيق .. وسبق ان قلت انهم كانوا يضنون بالموت على الاخوان لأنهم يعلمون ان الموت فى سبيل الله هو اسمى أمنية للأخ وهو فى عافية فما بالك لو كان الموت سيضع نهاية لهذا العذاب الرهيب !! لقد كان هناك طبيب فى السجن الحربى وأسمه ماجد حماده لم تكن وظيفته أيام التحقيق هى العلاج انما كانوا ينادونه أحيانا ليستشيروه فى قدرة الأخ على تحمل العذاب او ليفيق الأخ من اغمائه ليعاودوا تعذيبه !!

لقد عذبوا الشهيد محمد عواد حتى الموت — وعذبوا الشهيد اسماعيل الفيومى الحارس الخاص لجمال عبد الناصر حتى الموت .. وعذبوا رفعت بكر ابن أخت الشهيد سيد قطب حتى الموت .. وعذبوا محمد منيب عبد العزيز أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة أسيوط حتى الموت وعذبوا الشهيد محمد على عبد الله من قرية كفر شكر حتى الموت ..

وهددوا بالموت الكثيرين كانوا يحفرون حفرة تسع للأخ ويأمروه أن يرقد فيها ويهيلون عليه التراب حتى يوقن أنهم يريدون موته حقيقة .. وفى اللحظة الأخيرة يرفعون عنه التراب وأحيانا كانوا يأخذون الأخ ويأمرون بموته رميا بالرصاص ويعتقد الأخ أنهم جادون فى ذلك ويذهبون به لمكان ينفذون فيه الأمر ويعصبون عينيه

وتبدأ عملية تعمير المسدس أو البندقية حتى يوقن الأخ أن نهايته أوشكت وفى هذه اللحظة يطلبون منه أن يعترف بما يريدون .

بل لقد بقيت الحاجة « أم أحمد » طوال وجودها فى السجن الحربى وهى محبوسة فى زنزانة انفرادية كتب عليها اعدام وأوهموها انهم سيعدموها وبقيت على هذا الظن حتى يوم اخذوها للافراج عنها !!

لقد تنوعت أساليب التعذيب أثناء التحقيق .. ومن هنا كان لا يستطيع واحد فقط أن يصور مذبحة السجن الحربى من خلال تجربته الشخصية لأن الوسائل التى استخدمت معه غير تلك الوسائل التى استخدمت مع غيره فقد اختلفت مآسى الاخوان باختلاف شخصية كل منهم ومكانته .. وحركته وموقفه وتقريرات المباحث عنه .. الى جانب اختلاف المحققين أنفسهم فالصاغ رياض ابراهيم كان عتلا كبيرا .. ضاريا .. والصاغ حسن كفافى كان يتلذذ بالتعذيب ويسلك أحط الوسائل مع الاخوان أما الصاغ جلال الديب واليوزباشى الجنزورى فكانا أقل فى الضراوة والخسة من غيرهما !!

لذلك سأستعين بمجموعة التحقيقات التى نشرتها مجلة الاذاعة والتليفزيون فى رئاسة الأستاذ ثروت أباظة للتحرير واشهد أن هذه الفترة هى من أخصب فترات مجلة الاذاعة والسبب فى ذلك كان شجاعة الأستاذ ثروت أباظة الذى أتاح النشر لهذه التحقيقات . ولكن قبل أن أبدأ فى رواية ما قاله غيرى عن التعذيب أقول لك تجربتى أنا — لم يحقق معى الا بعد مضى ما يقرب من أربعين يوما حتى ظننت أننى لن أقدم للمحاكمة .. نودى على اسمى صباح أحد الأيام على غير العادة .. وكانوا يحققون ليلا ونهارا .. خرجت مع طابور المطلوبين للمكاتب .. وقفنا طابورا واحدا .. وسجلوا أسماءنا فى دفتر بوابة السجن خرجنا فى خطوة عسكرية حتى وصلنا الى المكاتب أجلسونى جوار سور السجن الحربى ووجهى للحائط .. وأثناء سيرى رأيت اخوانا كثيرين البعض معلق كالذبائح .. والسياط تمزقهم .. والبعض يعذب وهم وقوف .. ورأيت مصطفى عبد النبى من بلدة نزلة السمان يجلس على الأرض لأن قدميه

لم تقويا على حمله .. ولم يعد يطيق الضرب عليهما فجلس حتى لا يضرب عليهما واخذ يدور كالرحا والحارس الذى يعذبه يهوى على جسده بالكرباج .. ووصل الأمر بمصطفى انه كان يحمل على نقالة .. وبقيت جراحات قدميه فترة طويلة لم تندمل .. ورأيت كثيرين يجلسون ووجوههم للحائط ولا يستطيع أحدهم أن يلتفت يمنة ولا يسرة جلست فترة طويلة .. ثم نادوا على أسمى .. هممت واقفا وانطلقت حيث الصوت الذى نادانى .. ووجدت الأخ محمود عبد المجيد معلقا كالذبيحة وهـو احد أفراد أسرتى الذين لم التق بهم خارج السـجن لأن الأسرة كانت مسـئولة من الأخ وهبى الفيشاوى الذى سافر فجأة الى الاسكندرية فأسندت رئاستها الى ، ولم اكن قد التقيت بجميع أفراد الأسرة .. وبالذات الأخ محمود عبد المجيد .. رأيته معلقا تمزقه السـياط سألنى الذى يحقق معه :

ــ هل تعرف هذا الشخص ؟!

قلت :

ــ لا أعرفه ..

قـال :

ــ الم تره من قبل ؟

قلت :

ــ لا .. لم أره ..

وحقيقة كنت لم أره .. وسألوه هو أيضا عنى فنفى معرفته بى .. أو رؤيته لى .

اعادونى الى مكانى وجلست حتى المساء حيث أعادونى الى زنزانتى دون أن يحقق معى احد .. فزادنى ذلك اطمئنانا ..

ولكن بعد أيام نودى على اسم عمى حسب النبى خير الدين .. فخرج .. وانتظرناه .. وطال انتظارنا له .. وفى ساعة متأخرة جدا من الليل .. أو فى ساعة من ساعات الصباح الأولى فتح علينا

الباب ودخل عمى حسب النبى .. جلس الرجل فاقتربت منه أطمئن عليه .. وهممت أن أضع يدى على ساقيه .. فصرخ .. لاتقترب من رجلى .. كانت اسود من ظلام الزنزانة فى ليلة الشتاء .. تجمدت الدماء تحت الجلد .. ولم يتمزق الجلد وكان الألم لذلك الدم المحبوس المجمد اشد .. جلس عمى حسب يروى لنا كيفية التحقيق معه .. قال يحمسنا : —

— ليس برجل من يعترف على انسان لم يعتقل بعد !! كان عمى حسب يقول : —

— احس ان على قفاى حملا رهيبا .. انا قفاى ملتهب لقد أوقفوا خلفى احد الزبانية .. يصفعنى على قفاى دون توقف .. لكننى لم أعترف على من أرادونى أن أعترف عليه .. حتى يحضروه .. انا أعرفه .. وأعرف عنوانه لكننى لم أعترف .. لأن من يعترف على من لم يعتقل ليس برجل !!

كان عمى حسب رجلا صلبا .. صابرا .. لم تنهار قواه ولم تلن ارادته ولم تهن عزيمته .. حتى انهم قد عذبوه عذابا شديدا لكنه اصر على اقواله حتى ان الذى يحقق معه اصطحبه وهو عارى الجسد ليس عليه الا سرواله ودار به على مكاتب التحقيق الأخرى وهو يشير اليه ..

— هذا هو الجمل الصايم !!

روى لى عمى حسب .. أن المحقق — وهو غالبا ما كان أحد ضباط الشرطة العسكرية — خرج لامر ما .. فاذا باللذين يعذبانه ينصحانه أن يعترف .. ولا داعى لأن يعذبانه وهما مثل أولاده .. وانهما ينفذان الأوامر ويشفقان عليه فقال لهما :

— انا اعرف انكما تنفذان الأوامر — ولكن لو كنت فى غير هذا المكان هل كان احد منكما يجرؤ ان يلمسنى ؟!!.

وكان الانسان الذى يعذب يجف ريقه ويظما ظمأ شديدا .. ويكون هذا الظمأ عذابا فوق العذاب طلب عمى حسب أن يشرب فلم يعطوه حتى يعترف فلما لم يعترف أخيرا أعطوه كوبا به عصير ليمون فلما ذاق طعمه رفض أن يشرب .. حتى أرغموه على الشرب ..

صبح الصباح ورأينا فى النور ساقى عمى حسب كانتا سوداوين .. والكدمات بطول الساق .. من آثار السياط ..

لم يحن دورى فى التحقيق بعد .. وفى ليلة من الليالى نودى على اسمى .. خرجت من الزنزانة وقادونى الى مكاتب التحقيق .. واجلسونى هذه المرة تحت شجرة أمام مكتب الصاغ جلال الديب الذى هرب الى سويسرا بعد طلب النيابة القبض عليه فى قضايا التعذيب .. والنقيب محمد الجنزورى جلست أذكر الله ... واستعينه .. وأدعوه .. وبعد وقت قليل سمعت مواجهة بين اثنين من الاخوان الفتى الأسمر الذى تحدثت عنه فى الفصل الماضى واسمه احمد توفيق .. وآخر اسمه فؤاد البقلى كان أحمد توفيق قد اعترف أن من بين أعضاء أسرته فؤاد البقلى .. ولكن فؤاد البقلى نفى ذلك ولما واجهوه بأحمد توفيق أصر على أقواله .. فما كان من المحقق الا أن علقه نفس التعليقة يداه ورجلاه الى أعلى ورأسه الى أسفل .. وبدأ أربعة من الزبانية يمزقونه .. كرباجان نازلان وكرباجان طالعان .. ولا يزيد فؤاد البقلى عن صرخته التى تصعد الى السماء .

ـــ يارب .. يارب .. يارب (وأنا جالس ابكى واضرع الى الله .. ان يخلصه من أيديهم ..) ولما ازداد المه قال :

ـــ يارب انتقم .. يارب انتقم ..

خرج اليوزباشى محمد الجنزورى وسأل فؤاد البقلى : ـــ

ـــ ينتقم ممن يا ولد ؟!

فقال فؤاد البقلى للجنزورى بأعلى صوته :

ـــ ينتقم منك يا كلب !!

الله اكبر .. ما احلى تلك الكلمة نزلت على قلبى أنا بردا وسلاما .. احسست انهم لو مزقوا جسده قطعة قطعة لن يساوى ذلك تلك الكلمة ـ لقد كانت بصقة فى وجوه هؤلاء الزبانية .. لم ينهزم فؤاد تحت نير السياط ولم ينكسر قلبه من هول العذاب .. أسمعهم ما فجر غيظهم واحنقهم عليه .. فصاروا ككلاب مسعورة .. مزقوه .. بمزيد من السياط ولكن أراد الله ان يأتى طرف أحد « الكرابيج » فى عين أحد الزبانية فتوقف ضرب فؤاد البقلى وانزلوه من التعليقة .. واخذوه ليلبسوه اى شىء فقد مزقوا ملابسه .. وأوقفوا دماءه التى كانت تسيل ..

وجاء دورى .. نادوا على وادخلونى على الصاغ جلال الديب.. واليوزباشى محمد الجنزورى وقال لى جلال الديب ..

ـ اسمع يا جابر نحن نعرف أن رجلك اليمنى فيها التهاب مزمن .. ولا تقدر على أن تعلق لتعذب فارحم نفسك واكتب كل شىء ..

قلت :

ـ اسألونى وانا اجيب على كل ما تريدون ..

قالا :

ـ لا .. اكتب كل شىء ..

واعطانى ورقا وقلما .. واخرجانى من الحجرة .. جلست بجوار عمود النور بالقرب من الفسقية التى هشم صفوت الروبى فى جوارها راس الشهيد محمد عواد .. وبدات أكتب وأنا مصمم الا اعترف بكلمة واحدة .. كتبت كلاما كثيرا لكن بعيدا عن الموضوع فأنا لا اعرف ماذا يعرفون عنى .. ولا ينبغى أن اسلم لهم نفسى بهذه البساطة ..

خرج اليوزباشى الجنزورى واخذ منى الورق الذى كتبته ... ودخل وغاب فترة من الوقت قليلة خرج على جلال الديب .. وامسك الورق الذى كتبه ومزقه والقاه فى وجهى وسبنى سبا مفزعا !!

وسلمنى لأحد الحراس .. يمسك فى يده « كرباجا » أخذنى الحارس خلف المكاتب وأخذ يضربنى بالسوط على سيقانى .. ويصفعنى بيده ..

ثم خرج الجنزورى مرة ثانية وأعطانى ورقا جديدا وقلما وقال :
ـ أكتب الحقيقة ولا تنكر شيئا !!

وبدأت اكتب بعض الأشياء الهامشية التى قد ترضيهم . ومن حسن حظى أنهم فى هذه الليلة انهوا التحقيق مبكرا .. وجمعوا الأوراق منا وأوقفونا صفا واحدا وأعادونا الى السجن .. فى الطريق وقف خلفى السيد نزيلى وهو قريب لى ومن قريتى .. وصاحب مأساة كرداسة .. همس لى السيد نزيلى :

ـ لقد اعترف على عشماوى بكل شىء على كل واحد منا .. فلا داعى للانكار .. بلاش تبهدل نفسك اعترف بكل حاجة يطلبوها منك ..

كانت همسة الأخ سيد نزيلى نصيحة مخلصة وليست انهزاما .. ولا مطالبة بالانهزام !!

وفى اليوم التالى قبل آذان الظهر بقليل .. نودى على اسمى نزلت الى فناء السجن ووقفت فى الطابور وخرجت الى المكاتب أدخلونى على جلال الديب الذى كان قد قرأ ما كتبته للمرة الثانية وقال لى :

ـ قلت لك اكتب كل حاجة ..

قلت له :

ـ اسألنى وانا على استعداد ان اجيبك عن كل سؤال ..

قال :

ـ لا .. اكتب أنت ..

وتدخل اليوزباشى الجنزورى وقال لى :

ـ احكى حكاية الآلة الكاتبة التى كانت عندك وحكاية البحث الذى ترجمته .. وحكاية الجرائد الفرنسية التى كنت تترجمها .. وغيره وغيره ..

كانت كلمات الجنزورى دليل ثبوت كلام السيد نزيلى بخصوص اعترافات على عشماوى .. خرجت وبدأت أكتب عن الأشـــياء التى عددها الجنزورى ..

فى نفس اليوم طلبت أمام نيابة أمن الدولة التى كانت تحقق مع الاخوان داخل السجن الحربى فى المنطقة بين السجن الكبير ومكاتب التحقيق .. وكانوا قد نصبوا للنيابة خياما كبيرة كل رئيس نيابة .. او وكيل نيابة مع السكرتير الذى يكتب يجلسون فى خيمة .. قلت ان الخيام كانت أمام السجن الكبير بالقرب من مكاتب التحقيق وكانت النيابة ترى المعذبين محملين على نقالات .. وتسمع صراخ وصياح الضحايا الذين يمزقون بالسياط أو تمزق أجسادهم الكلاب الجـــوعى !! ..

لقد كانت صورة السجن الحربى فى تلك الأيام التى فيهـــا النيابة تحقق والتليفزيون يسجل أحاديث مع الاخوان اشبه بالمجزرة .. وكانت النيابة ترسل الى مكاتب التحقيق بعض الاخوان الذين أنكروا ما اعترفوا به تحت نير السياط ليعذبوا من جديد حتى يعودوا فيعترفوا بما كتبوه فى التقريرات التى كتبوها بخط أيديهم تحت ارهاب التعذيب .. حتى حمدى قنديل .. الذى كان يعمل مذيعا بالتليفزيون جاء الى السجن الحربى ليسجل مجموعة من الأحاديث فسأل محمد عبد المعطى الجزار أحد أفراد الطاقة الذرية عن رأيه فى عبد الناصر .. فقال رأيه الصريح فيه بشجاعة .. فما كان من حمدى قنديل الا أن أرسله فعذب .. حتى غير رأيه وهو معلق على الفلقة فلما أعادوه له سأله عن رأيه فأصر على رأيه الذى قاله له قبل ذلك .. مما افسد على حمدى قنديل ما كان يحلم به من تشويه صورة الاخوان وتصويرهم فى حالة انهيار أو ندم على ما هم فيه !!

ذهبت الى الخيمة التى طلبت لها فوجدت شخصين يجلسان

عرفت أن أحدهما يمثل وكيل النيابة والآخر الكاتب .. عرفنى وكيل النيابة بنفسه فقال :

ــ وجيه قناوى ــ ممثل النيابة ..

وفتح المحضر ولخص ما كتبته بخط يدى .. واخذ يسألنى فأردت ان انكر أشياء مما اعترفت بها فى تقريرى فهددنى .. ثم كان يسألنى السؤال فأجيب عليه فاذا به يغير اجابتى بما يروق له ليحكم التهمة حولى وكنت أقول له :

ــ ليست هذه اجابتى انما هى اجابتك !!

فكان يثور على ويطلب منى أن أكرر اجابتى عليه .. واشهد الله اننى كنت مطمئنا .. واثقا من نفسى لا استشعر الخوف فى داخلى .. كنت أحس أننى فى مكانى الذى أنا فيه أشرف من المكان الذى يجلس فيه من يمثل النيابة !!

لقد كان وجيه قناوى يدخن كثيرا فنصحته بالتقليل من التدخين وبينت له أضرار التدخين صحيا واقتصاديا ..

واستمر التحقيق معى أمام النيابة يومين تقريبا وفى أحد الأيام قال لى وجيه قناوى رئيس النيابة الذى حقق معى .

ــ تعرف لو كنت اعتقلت فى بيت « سرى » كان أشرف لك من هذه القضية !!

قلت له فى ثقة وايمان .. واستهزاء : ــ

ــ « ليس صحيحا ما تقول .. لو كنت اعتقلت فى بيت سرى (يعنى فى بيت للبغاء) كنت لا اقف أمام النيابة ؟! ولكن لا يمكن أن يكون الذى يقبض عليه فى بيت للبغايا أشرف ممن يحاكم بتهمة الاخوان » !!

انتهى التحقيق معى .. وعدت الى زنزانتى وانا اكثر اطمئنانا وأمنا .. ورضا ..

آل قطب .. فى السجن الحربى !

القى القبض على الشهيد سيد قطب يوم ٩ اغسطس سنة ١٩٦٥ بعد أن قدم رسالة احتجاج الى المباحث العامة بسبب القبض على اخيه الأستاذ محمد قطب ..

وكان الشهيد سيد قطب قد تعرض للسجن والاعتقال فى مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٥٤ وبسبب التعذيب الشديد الذى تعرض له حينئذ أصيب بنزيف رئوى شديد مما اضطر السلطات الى تأجيل محاكمته شهرين كاملين وقد ذكرت الصحف ذلك . ثم حوكم محاكمة سرية لم يحضرها أحد وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما .. وأثناء محاكمة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين عليه رحمة الله حضر الشهيد سيد قطب كشاهد ودار بينه وبين جمال سالم رئيس المحكمة الحوار التالى : —

جمال سالم : يبدو عليك التعب يا استاذ سيد فهل أنت تعبان ؟ الشهيد سيد : نعم لأنى كنت واقفا على قدمى ست ساعات قبل دخولى المحكمة !!

جمال سالم : وماذا يعنى هذا ؟! كلنا نقف مددا طويلة ؟!

الشهيد سيد : ولكننا نحن الاخوان المسلمين تطبق علينا فى السجن مبادىء الثورة !!

ونزع رداءه فظهر فى جسده اثر التعذيب الشديد فرفع جمال سالم الجلسة فورا ..

كان الشهيد سيد قطب فى محنة الاخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ قد تجاوز الخمسين بسنوات .. ولكنه كان فى محنة سنة ١٩٦٥ قد بلغ الستين من عمره .. ومصاب بالذبحة الصدرية .. بالاضافة الى مرض الكلى .. وأمراض المعدة ..

ولكن لم تشفع له سنه .. ولم يشفع له مرضه .. ولكنهم استغلوا هذه الأمراض جميعا فى نوع التعذيب الذى تعرض له .. لقد ربطوه فى كرسى لمدة اربعة أيام وحرموه فيها من الطعام والشراب وحرموه حتى من الماء .. وكانوا يسكبون الماء امامه .. ومعروف أن مريض الكلى يحتاج الى كميات كبيرة من الماء .. ولقد وصل الأمر بالشهيد سيد قطب أنه أوشك أن يفقد بصره وكان هناك نوع آخر من العذاب تعرض له الشهيد سيد قطب .. وهو ما أصاب أفراد أسرته لقد عذب ابن أخته رفعت بكر حتى استشهد أمام عينيه وكان رفعت بكر احب أولاد أخته اليه .. وقد روى لى الأستاذ مصطفى راغب أحد المتهمين فى قضية حسين توفيق التى عاصرت قضية الاخوان .. قال :

ــ لقد استدعيت لمواجهة الشهيد سيد قطب . .وبعد ان عذبونى أحضروا الشهيد سيد قطب .. وادخلوه الحجرة ودخل بعده شاب وبدأت عملية التعذيب للشاب وبدأ صوته يرتفع ويعلو ثم بدأ يخفت شيئا فشيئا او خفت .. ولا أدرى ما الذى حدث .. واستدعونى واستقبلنى شمس بدران على باب الحجرة فى حالة فزع شديد ولونه مخطوف .. ولأول مرة على غير عادته أجلسنى على الكنبة ورأيت آثار دماء فى أرضية الحجرة وسجادة ملفوفة بما فيها : قال لى شمس بدران :

ــ ما حكم هذا القتيل الذى قتل فى التعذيب ؟

فقلت :

ــ قالوا لك عنى مفتى ؟!!

قال :

ـ هو يعتبر ايه ؟ !

فقلت :

ـ هو لقى ربه .. وربنا مطلع على قلبه ولا يعرف القلوب الا الله وهو يحاسبه .

وكان شمس بدران يتظارف معى بشكل مقيت مرفوض ولكن أيضا بنفس منهارة ومتداعية ..

وعلمت أن هذا الشاب كان ابن أخت الشهيد سيد قطب الذى استشهد من التعذيب أمام خاله !!

ثم بعد قليل جرت المواجهة بينى وبين المرحوم سيد قطب ولم يكن يعرفنى ولم اكن اعرفه !!

لقد كانوا يريدون من رفعت بكر أن يكون شاهدا على خاله سيد قطب وعلى خالته حميدة قطب وعلى الحاجة زينب الغزالى فأرادوا منه أن يقول كلاما بعينه ولكنه رفض فاستمروا فى تعذيبه حتى انقذه الله من أيديهم واتخذه شهيدا .

وعذبوا أيضا عزمى بكر أخ رفعت واشتدوا أيضا فى تعذيبه حتى اوشك أن يقتل مثل أخيه وكانوا يريدون منه أيضا نفس ما ارادوه من أخيه رفعت ..

ولم يقف الأمر عند ذلك فقد اعتقلوا السيدة نفيسة قطب أم رفعت وأم عزمى بكر وكان عمرها يزيد على الخامسة والستين وبقيت معتقلة فى السجن الحربى حتى مقتل ابنها رفعت فتركوها تعود الى البيت ..

واعتقلت أيضا الأخت امينة قطب فى السجن الحربى وظلت رهن الاعتقال فترة أطول من اختها الكبرى .. أما الأخت حميدة قطب وهى اصغر اخوات الشهيد سيد قطب فقد اعتقلت فى السجن الحربى ولفقت لها تهمة وقدمت للمحاكمة وصدر ضدها حكم بعشر سنوات سجن قضت منها ست سنوات واربعة اشهر بين السجن الحربى وسجن القناطر ..

وروت لى الحاجة زينب الغزالى أنهـــا فى أحد المرات وهى فى طريقها الى دورة المياه بمستشفى السجن التى كانت تقيم بها ويقيم بها الأستاذ سيد وكانت زنزانة الشهيد سيد مغلقة بباب لخطورة حالته انما كان يوضع على بابها بطانية حتى تمنعه من أن يرى أحدا أو يراه أحد وأثناء مرور الحاجة زينب رفع الهواء البطـــانية فظن الحراس أن الشهيد سيد قطب هو الذى رفع البطانية عمدا لتعلم الحاجة زينب أنه فى الزنزانة فأخذ الحراس يسبونه ويلعنونه ثم جاء صفوت الروبى جلاد السجن الحربى فأوقف الشهيد سيد قطب وأخذ يوجه له الشتائم والسباب ثم جاء حمزة البسيونى وعنـــدئذ عادت الحاجة زينب من الدورة فسمعت أصوات السياط وصوت الأستاذ سيد قطب يسألهم أن يصبروا حتى يشرح لهم ..

وتقول الحاجة زينب الغزالى :

أما الحادث الثانى فقـــد طلب الشهيد ســـيد قطب الى مكاتب التحقيق .. وكان طبيب السجن لخطورة مرض الشهيد سيد قد نبه على الحراس أنه اذا طلب الى المكاتب فيتركوه يمشى على راحته لمرضه .. ولكن الجلاد صفوت الروبى وحمزة البسيونى أمروا الحراس أن يحضروا سيد قطب بالخطوة السريعة ودفع الحراس الشهيد أمامهم وأخذوا يضربون بالكرباج على الأرض حتىيضطروه للاسراع فجاءته أزمة قلبية استدعى لسببها الطبيب الذى سأل الحراس فأخبروه أن صفوت الروبى وحمزة البسيونى هم الذين أمروهم بذلك حدث ذلك وأنا فى زنزانتى أسمع الحوار ..

كان الشهيد سيد قطب ذا قلب كبير .. يحب الاخوان ويشفق عليهم .. ويحنو عليهم حنو الأب .. حدث أثناء خروجنا للمحاكمة فى أول يوم وكانت القضية الأولى أيضا تحاكم .. وأوقفونا نحن أفراد القضية الثانية أمام أحد مكاتب التحقيق ننتظر العربات التى ستحملنا الى دار القضاء العالى حيث نحاكم وكان أعضاء القضية الأولى أيضا فى انتظار العربات التى تحملهم الى محـــكمة الثورة بالجزيرة .. وأحضروا الشهيد سيد قطب وأجلسوه فى حجرة المكتب أمام القضية الثانية التى وقف أفرادها وكنت المتهم الثالث فى القضية فرأيت الشهيد سيد قطب يتفرس وجوهنا وتعرف على بعض افراد

القضية وبالذات الأخ احمد توفيق لتميزه عن جميع الاخوان بلونه الأسمر ولسبق سجنه فى محنة سنة ١٩٥٤ .. ابتسمنا جميعا للشهيد سيد قطب واظهرنا له من الثبات والصبر والجلد ما تقر به نفسه فما كان من الشهيد سيد الا أن بكى ورفع يديه الى السماء واخذ يدعو لنا .. لقد بكى اشفاقا علينا وحبا !!

وعندما قدمت القضية الأولى الى المحاكمة كان الشهيد سيد قطب قد أخذ على عاتقه ان يتكلم عن التعذيب الذى تعرض له الاخوان وهو يعلم ماذا يمكن أن يحدث له بعد ذلك .. حتى لا يعرض الاخوان اذا تعرضوا هم للكلام عن التعذيب لمزيد من التعذيب .. وكان رحمه الله يتتبع كل ما يجرى فى قاعة المحكمة ولا يترك صغيرة ولا كبيرة الا وينبه الاخوان لها اذا دعا الأمر الى ذلك التنبيه ويقول الأخ ممدوح الديرى :

ــ انه كانت هناك كثير من النظرات المتبادلة بين الشهيد سيد قطب وبين الدجوى قاضى المحكمة وكانت نظرات الشهيد سيد قطب تثير غيظ الدجوى وتنرفزه وكان أى تصرف يحدث فى المحكمة من الدجوى يكفى للرد عليه نظرة من الشهيد سيد قطب للدجوى كان الشهيد سيد قطب ينظر للدجوى باحتقار واستهانة وكان الدجوى كلما ذكر الشهيد سيد قطب ينظر اليه ويضع يده على رقبته كأنه يقول له : اننا سنعدمك !!

ويقول الأخ ممدوح الديرى :

ــ كان الشهيد سيد قطب حريص على السؤال عن أهالى الاخوان وبالذات على والدة الأخ المهندس فؤاد حسن على لأنه كان ابنها الوحيد وليس لها ابن أو بنت غيره وكان الشهيد سيد قطب حريصا على أن تخرج من المحكمة وهى راضية ومبتسمة وكان يوصى ابنها المهندس فؤاد حسن على أن يكون مع أمه ودودا ومبتسما وان يحسن معاملتها وملاطفتها .. بل لقد كان الشهيد سيد قطب يطلب الى جميع الاخوان فى القضية الأولى أن يستوصوا بأهليهم خيرا والأمهات بصفة خاصة ..

ويضيف ممدوح :

ــ عندما تعرض الأخ المهندس مرسى مصطفى مرسى لدور كمال أتاتورك فى هدم الاسلام بالغاء الخلافة وتحويل تركيا الى دولة علمانية والغاء الدين الاسلامى واللغة العربية واحياء القومية الطورانية .. وقارن اتاتورك بجمال عبد الناصر فى حربه للاسلام واعلانه فى حديث له أنهم ــ قادة ثورة يوليو ــ غير عقائديين .. وان عبد الناصر حاول أن ينجح فيما فشل فيه كمال أتاتورك من احداث تغيير جذرى فى المجتمع .. وأن أتاتورك وجمال عبد الناصر عميلان لقوى واحدة هى الصليبية واليهودية .. انشرح صدر الشهيد سيد قطب واصر أن يقبل مرسى عندما عاد الى القفص !!

وقد اشتد المرض على الشهيد سيد قطب أثناء نظر قضيته وتغيب عن الحضور الى المحكمة مدة حوالى شهر كامل فهو لم يحضر من المحاكمة الا الأيام الأولى .. والأيام الأخيرة . ويروى الاخ ممدوح الديرى انه أثناء المحاكمة اقترب أحد الضباط من الشهيد سيد قطب وسأله عن معنى كلمة شهيد فرد عليه رحمه الله قائلا :

ــ شهيد يعنى أنه شهد أن شريعة الله أغلى عليه من حياته !!

ويروى ممدوح الديرى كيف استقبل الحكم عليه .. فيقول :

ــ أخذونا يوم النطق بالأحكام فى سيارات الدفاع المدنى .. وأدخلونا جميعا « القفص » وكان هناك فى نفس الحجرة مهندس يقوم بعملية تسجيل الأحكام فى الحجرة التى كانت بجوار الحجرة التى فيها القفص .. نادوا على الأستاذ سيد .. وأخذوه الى الحجرة المجاورة حيث نطقوا بالحكم .. فرأينا المهندس الذى يسجل يبكى فعرفنا أن الحكم هو الاعدام .

ثم دخل علينا ضابط من ضباط الحرس وأخذ يتكلم مع الجنود من الحرس بانفعال فأكد ظننا عندما رأينا بكاء مهندس التسجيل .

ويضيف ممدوح :

ــ لقد سمعت أن الشهيد سيد قطب عندما سمع الحكم قال : الحمد لله ..

وتقول الحاجة زينب الغزالى :

ــ فى ليلة تنفيذ حكم الاعدام سووم الشهيد سيد قطب على انقاذ حياته باصدار قرار عفو عنه ..

وروى لى طبيب السجن الحربى ماجد حمادة انهم ساوموه وحاولوا استغلال الأخت حميدة قطب فى الضغط على الشهيد سيد قطب ولكن الشهيد سيد قطب كانت أمنيته الشهادة .. فأبى أن يستجيب وثبته الله حتى لقيه ..

ان قصة الشهيد سيد قطب فى سجون عبد الناصر لا تكفيها تلك الصفحات .. انها ملحمة وحدها أرجو الله أن يوفقنى لتخصيص دراسة كاملة عنها ..

لقد كان الشهيد سيد قطب ثائرا .. فى حياته كلها حتى قبل أن ينضم الى جماعة الاخوان المسلمين .. وكان يؤمن كما يقول فى أحد كتبه « ان أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا ولكن بشرط واحد .. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم .. وأن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم وأن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دماءهم غذاء لكلمة الحق . ان أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة حتى اذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء » .

ويقول فى موضع آخر :

« انه ليست كل كلمة تبلغ الى قلوب الاخرين فتحركها وتجمعها انها الكلمات التى تقطر دما لانها تقتات قلب انسان حى .. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب انسان .. أما الكلمات التى ولدت فى الأفواه وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الالهى الحى فقد ولدت ميتة ولم تدفع البشرية شبرا واحدا الى الأمام .. ان أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة والناس لا يتبنون الأموات(١) » !!

ومضى الشهيد سيد قطب .. وبقيت كلماته حية .. لأنه قال ما يعتقد أنه حق .. وجعل حياته فداء لكلمة الحق !!

---

(١) كتاب دراسات اسلامية ص ١٣٨

الشهيد.. محمد يوسف هواش

عندما صدر الحكم بالاعدام على الشهيد محمد يوسف هواش قال بعض اخوان السجون الذين عايشوا هواش وسيد قطب :

ـ « جاءت لك الشهادة بالطبطاب يا هواش .. كان الله رحيما بك .. لأنهم كانوا لا يتصورون أن يعيش هواش بعد اعدام سيد قطب .. » ..

ماذا تعنى هذه الكلمات ؟! أول ما تعنيه أن هناك قصة حب فى الله تربط بين الشهيدين سيد قطب ـ ومحمد يوسف هواش .. حتى أن الشهيد سيد قطب كان يعتبر الشهيد هواش شريكه فى كل ما وصل اليه من فكر .. حتى قيل أن الشهيد سيد قطب وهو يكتب فى ظلال القرآن حول سورة يوسف رأى الشهيد هواش فى رؤية سيدنا يوسف عليه السلام يقول له : قل لسيد قطب ان ما تبحث عنه موجود فى سورة يوسف .. أو ما معناه .. وكانت رؤيا حق .. فقضية « الحكم لله » واضحة كل الوضوح فى سورة يوسف .. وكانت رفقة الشهيد محمد يوسف هواش للشهيد سيد قطب رفقة طويلة استغرقت فترة سجنه كلها التى بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٥٥ وانتهت فى أغسطس سنة ١٩٦٤ حين أفرج عنه بموجب عفو صحى .. واترك الشهيد هواش ليقول :

ـ أنا بدأت نشاطى فى جماعة الاخوان المسلمين سنة ١٩٤٥ حيث انضميت لشعبة طنطا وكنت وقتها طالبا فى مدرسة طنطا الصناعية ثم أصبحت وكيل شعبة مصر القديمة بمنطقة جنوب القاهرة وكان رئيس المنطقة كمال السنانيرى .. وقبض على فى أغسطس سنة ١٩٥٥ وقدمت للمحاكمة أمام محكمة الشعب فى

اكتوبر ٥٥ وحكم على بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة ونفذت العقوبة فى ليمان طره وقضيت المدة كلها فى مصحة طره لأنى مريض بالصدر من سنة ١٩٤٧ وخرجت من مصحة السجن فى أغسطس سنة ١٩٦٤ بموجب عفو صحى وكان معى فى مصحة طره سيد قطب وكان محكوما عليه بالسجن ١٥ سنة وفى حوالى ١٩٥٩ جلس سيد قطب يكلمنى وقال لى بعـــد ما قرات القرآن لأنه كان يقراه ونحن فى السجن قال :

ـــ « انه اتضح له أن مسألة الحكم فى الاســـلام مسألة عقيدية بمعنى أن الاسلام هو أن تكون الحاكمية لله وحده وانه ليس هناك فى موضوع الحكم الا وصفين : أما حكم اسلامى وهو الحكم الذى تكون فيه الحاكمية لله وحده . وحكم جاهلى وهو كل حكم لا تكون فيه الحاكمية لله وحده وان مسالة الحكم تدخل فى صميم خصوصيات الربوبية والألوهية وان طاعة الحكم عبادة وكل من يطيع أى حكم فهو بعيد من الشرع لهذا الحكم وان الدين من معناه « نظام الحكم » بدليل قول الله تعالى « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » أى فى شريعة الملك . . وبما ان الاسلام هو ان يكون الدين خالصا لله تعالى فيجب أن يكون نظام الحكم خالصا لله تعالى ليكون حكما اسلاميا » وقال « ان الاخوان لازم يتربون على هذه الفكرة .. » وعندما سأل المحقق الشهيد محمد يوسف هواش .

ـــ ما صلتك بسيد قطب ؟!

فقال الشهيد هواش :

ـــ أنا كنت أشوفه بيجى المركز العام للاخوان المسلمين يلقى محاضرات انما لم أتعرف عليه الا فى السجن واحنا الاثنين امضينا مدة العقوبة من سنة ١٩٥٥ الى أن افرج عنا فى سنة ١٩٦٤ .

س : ما هى الفكرة التى خرج بها سيد قطب عن « الحاكمية لله » ؟!

ج ـــ هو قال ان موضوع الحكم حاجة من اثنين : اما حكم اسلامى وهو الحكم الذى تكون فيه الحاكمية لله وحده أى يكون مصدر التشريع فيه الشريعة الاسلامية فقط والحكم بكتاب الله ، او حكم جاهلى وهو كل حكم يحكم بغير كتاب الله . وأن علينا أن

نوضح هذه الفكرة للمسلمين عمـوما والدعوة الى اقامة حـكم اسلامى ..

س : وما هو السبيل الى اقامة المجتمع المسلم ؟!

ج ـ بالدعوة .. اى بدعوة الناس وتفهيمهم لهـذه الحقيقة والاستدلال عليها من كتاب الله وسنة الرسول ونظل ندعو حتى يكون الفرد قد أدى واجبه نحو الله وينجو من عقوبته .

س : وما الحل فى حالة عدم اقتناع الأفراد والمسـئولين عن الحكم فى البلاد فى اقامة هذا المجتمع الاسلامى .

ج ـ احنا مش مكلفين بالنتيجة احنا مكلفين بالواجب فقط وهو الدعوة وتكرارها .

س : وما الحل اذا لم يقتنع القائمون على الحكم فى البلاد بهذه النظرية ؟ !

ج ـ الحكام مش دايمين وعموما مفيش تفكير فى الحـاجة دى دلوقتى وواجب علينا فى الظرف الحاضر هو مجرد الدعوة وبعد كده نفكر ونشوف ايه الواجب اللى يعمل بعد كده .

س : ما هو الواجب الذى يمكن عمله بعد ذلك ؟!

ج ـ المسـألة متروكة للظروف لأن كل ظـرف يولد التفـكير المناسب له .

س : أليس المفهوم من كل ذلك ان الدعوة التى تنادون بها لاقامة مجتمع مسلم لا يمكن ان تقوم الا بقلب نظام الحكم بالقوة واستعمال العنف ؟ !

ج ـ المسألة متروكة لحجم المجموعة التى تقتنع بالفكرة وبالظروف وجايز الحكام يقتنعون بذلك وجايز الموضـوع لا يحتاج الى قوة انما اذا تحتمت القوة لاقامة المجتمع الاسلامى فلا مناص وقتها من استعمال القوة الا اذا كان هناك طريقة أخرى لذلك وجايز هذا

الجيل ينتهى وتكون المرحلة الأولى لا تزال مجرد دعوة واحنا عندنا قدوة بالرسول عليه الصلاة والسـلام فى انه كان يفكر فى واجب اللحظة ولم يفكر فى المستقبل وقعد ١٣ سنة يدعو للاسلام فقط وكان منهجه عدم التفكير فى المستقبل وترك الأمر للمستقبل هو الذى يحدد طريقة العمـل وانتهى به الأمر للقتال ولكن يمكن ظروفنا احنـا تنتهى بنا الى غير ذلك !!

كان الشهيد هواش هو التجسيد الحى المتحرك للفكر الذى وصل اليه مع الشهيد سيد قطب .. بين الاخوان داخل السجن الحربى .. وكان حريصا أن يبلغ هذا الفكر للجميع سواء كانوا محققين .. أو قضاة فى المحكمة أو اخوان فى السجن ..

عنـدما سـأل الدجوى الاخوان فى القضـية الأولى السـؤال التقليدى ..

ـ هل لك اعتراض على هيئة المحكمة ؟!

أجاب الشهيد سيد قطب ..

ـ لا اعتراض على اشخاص المحكمة ..

والتزم إخوان القضية الأولى نفس الاجابة الا الشهيد محمد يوسف هواش .. وقف وقال :

ـ اننى كمسلم ومن وحى عقيدتى أرفض أن أتحاكم أو أحاكم الى محكمة لا تحكم بما أنزل الله ..

وهذه هى عقيدتى ..

كان محمد يوسف هواش أحد الثمار الناضجة لدعوة الاخوان المسلمين التى أطلق صيحتها الامام الشهيد حسن البنا .. كان الرجل نموذجا فذا للأخ المسلم المجاهد .. الواعى بالظروف التى تحيط بالدعوة .. لقد أدرك فى السجن الحربى أن النهاية تلوح فى الأفق فأراد أن يقول كلمته قبل أن يمضى الى ربه .. لقد تحدث كثيرا

للاخوان ولغير الاخوان لقد عاش مع الاخوان ووضح لهم فهمه للدعوة .. لقد كان القدوة والمثل الحى لهم طوال فترة تواجده داخل السجن الكبير ..

وكان أثناء التحقيق معه صابرا .. ثابتا .. شجاعا صريحا واضحا فى توصيل ما هداه الله اليه من الحق لا يجد فرصة يبلغ فيها كلمة الحق الا انتهزها لا يخاف .. ولا يلين .. ولا يرهب ..

لقد كانت طوابير التعذيب الجماعى التى بداها زبانية السجن الحربى بعد انتهاء التحقيقات فرصة لأن يبلغ هواش اخوانه ما وصل اليه فهمه لدعوته ومنهج حركتها — ولم يعوقه مرضه ولم يمنعه ارهاب الحراس الذين كانوا يسيموننا سوء العذاب اذا راوا واحدا تتحرك شفتاه !! .. كان الشهيد هواش ينظر الى الأرض فتختفى شفتاه فى شعر شاربه وذقنه ويتحدث لاثنين من الاخوان واحد عن يمينه وواحد عن يساره .. كان هواش يحس بثقل الأمانة الملقاة على عاتقه وكان يريد أن يحملها الى اكبر عدد من الاخوان .. كان يتحدث كثيرا .. كثيرا وكم من المرات ضبط وهو يتكلم وأوذى كثيرا بسبب ذلك وكان الاخوان يشفقون عليه لأن يديه ورجليه كانت ممزقة من التعذيب أثناء التحقيق حتى أنه لم يستطع أن يكتب التقرير الذى سجلت فيه اعترافاته بخط يده فقد جاء فى آخر تلخيص البيان لاقراره هذه الملاحظة « حرر باملائى .. محمد يوسف هواش » ..

ويقول ممثل النيابة الذى حقق معه :

« استدعينا المتهم وعرضنا عليه الاقرار المقدم لنا فقرر انه ليس بخطه وانما هو باملائه لشخص آخر حيث أن اعصاب يده اليمنى كانت مشدودة ولم يستطع الكتابة وقت كتابة هذا الاقرار وذلك نتيجة ضربه على يده وانه لم تحدث به اصابات ولكنه لم يمكنه الكتابة بها واضاف انه وقع فقط على كل ورقة من ورقات الاقرار المذكور » انتهت ملاحظة النيابة وعندما سأله ممثل النيابة :

— هل حدثت بك اصابات ؟ !.

جـ ـ « أنا مفيش فى اصابات ظاهرة دلوقتى ووقتها ايدى كانت وارمة وكانت أعصاب يدى مشدودة وما اقدرش أكتب بها وهى فى تحسن دلوقتى » ..

هذا أقصى ما كان يستطيع ان يشير به الشهيد هواش الى التعذيب الذى وقع عليه ولن تجد مثل هذه الملاحظة التى تشير الى التعذيب الا عند النادر فى تحقيقات الاخوان لأن الأخ الذى يتحدث عن التعذيب كان يعلم ماذا يمكن ان يحدث له .. ولكن الشهيد هواش لم تمنعه آلامه .. ولم يمنعه احتمال تعذيبه على جراحه التى لم تندمل بعد من أن يقول أنه عذب ، وكذب ممثل النيابة الذى قرر ان الشهيد هواش لم تكن به اصابات ظاهرة فقد كانت رجلاه ممزقة بصورة بشعة حتى بعد أن مر أكثر من خمسة شهور على تعذيبه !!

لقد قالت الحاجة زينب الغزالى :

ـ لقد رايت الشهيد محمد هواش يذهب الى مكاتب التحقيق وهو يزحف على مرفقيه وركبتيه !!

رحم الله هواش .. وتقبله شهيدا .. من الشهداء الصادقين المخلصين ..

* * *

الشهيد.. عبد الفتاح عبده اسماعيل

أشهد أننى لم أفهم قدر الشهيد عبد الفتاح اسماعيل الا بعد أن نفذ حكم الاعدام فيه .. واستطيع أن اشهد شهادة يحاسبنى الله عليها أن الشهيد عبد الفتاح اسماعيل كان من أصلب الاخــوان المسلمين الذين دخلوا السجن الحربى ارادة ان لم يكن أصلبهم على الاطلاق .. واكثرهم شجاعة فى مواجهة طغاة السجن الحــربى بالصدع بكلمة الحق وكان يريهم من نفسه ما يملأ قلوبهم حسرة وغيظا .. واذكر مرة أن دخل حمزة البسيونى السجن فى الصباح وهو يركب حصانا احمرا .. وبعد ان خرج الطابور الكبير وكنت أسير مع طابور « العواجيز » وهو طابور أخف من الطابور السريع يضم أصحاب العاهات .. والأمراض وكبار السن ولا يسير فيه الا من صرح له الطبيب بذلك وبدأ طابور « العواجيز » فى الخروج فوقف حمزة البسيونى يستعرض الطابور بنفسية الساخر المتشفى وأراد ان يسخر من الشيخ عبد الفتاح فسأله :

ــ كويس كده يا شيخ عبد الفتاح ؟!

فابتسم الشيخ عبد الفتاح وأشرق وجهه بنور ابتسامته وقال :

ــ الحمد لله على كل اللى يجيبــه ربنــا ..!! احنا راضيين بكل اللى يجيبه ربنا !!

كان الشيخ عبد الفتاح عبده اسماعيل يرنو بقلبه الى « الشهادة » ويتمناها من أعماق فؤاده ولقد كان بينه وبين الشهيد محمد عواد عهد على الاستشهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله وكان الشهيد عبد الفتاح يغبط محمد عواد على فوزه بالاستشهاد تحت ضربات التعـذيب الجهنمية التى حققت له أمنية طالما تمناها ..

كان « الموت » فى سبيل الله أمنية الحاج عبد الفتاح فى الوقت الذى نظر اليه أعداء الحق انه اقصى ما يمكن أن يفعلوه بجنـد الحق ...

لقد تعرض الشيخ عبد الفتاح لعمليات تعذيب رهيبة ولكن الرجل لم يفقد شجاعته حتى فى لحظات التعذيب فقد كان من بين وسائل التعذيب التى تعرض لها الشهيد عبد الفتاح الكلاب المتوحشة التى أطلقوها عليه لتمزق جسده .. فلم يستسلم لنهش الكلاب ولم يفزع منها .. ولكنه أطبق بيديه على عنق أحدها حتى خنقه !!

وتقول الحاجة زينب عنه :

ــ « كان الشهيد عبد الفتاح اسماعيل من أخلص الاخـوان لحسن البنا والمقربين الى قلبه .. وبرهنت الأحداث أنه كان جديرا بهذا القرب وهذه الرعاية من الشهيد حسن البنا فبعد خروجه من السجن فى سنة ١٩٥٦ كان مصمما تصميما لا يداخله شك أو ضعف أو تردد على اعادة هيئة الاخوان المسلمين الى ما كانت عليه لتؤدى واجبها نحو الله سبحانه .. لقد فعل ما يرضى ضميره باعادة تنظيم الجماعة واعادة وحدة صفها بالتربية والتكوين والاعداد الفكرى ..

وجاءت مذبحة السجن الحربى ووقف عبـد الفتاح اسـماعيل كالطود الراسخ ثابتا على عقيدته مدافعا عنها لا تخيفه السـياط ولا ترعده الكلاب التى كانت تحبس معه بالأيام محرومة من الطعام لتفتك به .. لقد رأيته عدة مرات فى مكتب شمس بدران ممزق الوجـه والكتفين وممزق الأقدام .. مكسـور الذراع ومكسـور الساق .. رأيته مرة وكان كمن فقد بصره ..

كان رجلا بحق يمثل جماعة .. عمل على جمع وحدتها وتنظيم صفها فنجح أيما نجاح وفاز عبد الفتاح عبده اسماعيل «بالشهادة» --

وهى أرفع وأسمى ما يتمناه انسان .. انها أعلا درجة يمنحهـــا رب السموات » ..

كان الشهيد عبد الفتاح هو « دينامو » الاخوان سنة ١٩٦٥ وكان له الفضل الكبير فى توحيـــد الاخوان من الأسكندرية حتى اقاصى الصعيد وكان يضرب به المثل فى القدرة على الحركة حتى قيل أنه كان يصلى الأوقات الخمسة فى خمس محافظات !!

وكان له الفضل فى توصيل الاخوان بالشهيد سيد قطب ..

وكان الشيخ عبد الفتاح عابدا .. يقوم من الليل يصلى حتى ظن كثير من الاخوان انه لا ينام وقد رغب الكثيرون فى السكنى معه وكان من أحرص الاخوان على تنفيذ السنة فقد اطلق لحيته أو طالت لحيته بحكم تركها بدون حلاقة فترات طويلة فكانت شعورنا تطول اللحية والشارب وشعر الراس .. ولكن الشهيد عبد الفتاح .. كان يحف شاربه بنتف شعر الشـــارب رغم ما فى ذلك من الم .

وكان الشيخ عبد الفتاح مهيبا لا اذكر انه قد تعرض لاهانات الحراس رغم كثرتها بالنسبة للاخوان واذكر ان الأخ محمد رحمى وجد فى زنزانة الشيخ عبد الفتاح بعد صلاة الفجر وبعد الانتهاء من عملية « دورة المياه » وضبطه أحد العساكر وعلم بذلك صفوت الروبى ويبدو أن الشيخ عبد الفتاح كان مرصودا حتى انه أسكن معه أحد أفراد القضية ممن يمكن أن يستفاد منهم فى معرفة حياة الشيخ عبد الفتاح وكان جزاء الأخ محمد رحمى « علقة » ساخنة على قدميه مزق فيها صفوت الروبى قدما الأخ رحمى حتى انه كان الشخص الوحيد الذى لم يستطع حضور محاكمة القضية الا بعد أيام طويلة ولكن الشيخ عبد الفتاح لم ينله أى سوء .

وتروى الحاجة زينب الغزالى عن الشـــيخ عبـــد الفتاح فتقول :

— فى يوم من الأيام كنت على موعد مع الشيخ عبد الفتاح عبده اسماعيل .. فحضر الى بيتى فى الساعة السابعة صباحا وأخبرنى زوجى أن الشيخ فى حجرة الصالون فذهبت اليه فوجدته نائما من الاجهاد على أحد المقاعد فأخذت بطانية وغطيته بها وقلت لمديرة البيت عندما يصحو الأخ عبد الفتاح جهزى له الافطار .

ولمـــا استيقظ وقدمت له الافطار قال لها ان لديه موعدا ولابد أن يرانى بسرعة !!

فجاءت وأخبرتنى فلما طلبت منه ان يتناول افطاره قال :

ــ انا على موعد فى مسجد الملك بعد ربع ساعة واعطانى مبلغ ٣٠٠ جنيه امانة .. وكان قد مضى عليه ٢٤ ساعة لم ينم ولم يأكل فطلبت الى خالتى أم عبده مديرة البيت أن تضرب له كوبا من الزبادى وعسل النحل فشربه وأعطيته جنيها وقلت له :

ــ اركب تاكسى حتى تلحق موعدك فقال :

ــ هل هذا الجنيه من الثلثمائة فقلت :

ــ لا .. هذا من جيبى الخاص لتركب تاكسى فقال لى :

ــ اضيفيه للمبلغ الذى هو لحســـاب الاخوان .. أما نحن فلن نركب تاكسى .. والذين ركبوا العربات واستعملوا التاكسيات استرخوا ولم يعودوا يصلحون للعمل ..

قلت :

ــ مستحيل ان تدرك موعدك بغير التاكسى !!

فقال :

ــ الذين ينتظروننى هم من جند الله وسينتظروننى حتى أصـــل اليهـــم ...

فقلت :

ــ انا اركب العربة ولم استرخ ولم اقعد عن العمل .. بل ترانى مصرة على ان استمر اعمل لدعوتى !!

فقال :

ــ هذا ابتلاء نجحت أنت فيه وربما لا انجح أنا فيه .

وخرج ليدرك موعده .. هذا هو عبد الفتاح اسماعيل كما عرفته

يعمل ٢٤ ساعة متواصلة لا يحس بالجوع ولا بالتعب ولا يرضى أن يحصل على أجرة التاكسى لمشوار فى سبيل دعوة الله .. وكان غريبا الا يقتل عبد الفتاح عبده اسماعيل باليد العميلة لأعداء الاسلام لأنه كان لبنة صالحة فى صرح الدعوة الاسلامية !! »
ولم يفقد الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل شجاعته فى اخطر لحظات عمره .. وقف يستمع الى الحكم الذى أعلنه الدجوى وان كنا على يقين أن الدجوى لم يكن الا ببغاء وربما أسياده أيضا كانوا مثله !!..

عندما نطق الدجوى بالحكم .. صاح الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل ...

ــ الله أكبر .. فزت ورب الكعبة !!

وقيل أنه لم يفتقد هذه الشجاعة حتى فى لحظات التنفيذ ولكنه تقدم ثابتا شامخا محتسبا .. يدع الله أن يجعل دماءه لعنة على قاتليه !!

ولحق الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل بالشهيد محمد عواد وصدق عهده مع الله فصدقه الله فهنيئا لهما بالشهادة التى نسأل الله لهما ولجميع اخواننا أن يحشرهم الله مع النبيين والصديقين !!

* * *

محمد عواد .. أول الشهداء !

كان محمد عواد .. أول شهداء السجن الحربى .. وقصة تعذيب عواد تعطى الصورة الضارية لمذبحة السجن الحربى .. ولكنها فى نفس الوقت كانت مثالا رائعا لثبات المؤمن .. فجعلت من عواد معلما فى طريق الدعوة الاسلامية ..

عندما ذهبت الشرطة العسكرية لالقاء القبض على محمد عواد كان عنده مصطفى الخضيرى الذى هرب بعد اعتراف أفراد أسرته عليه واراد محمد عواد أن يعطى لمصطفى الخضيرى فرصة للهرب فأوهم القوة التى ذهبت للقبض عليه بأنه يريد الهرب فجروا خلفه واستطاع الخضيرى أن يفلت من القاء القبض عليه .. واستسلم عواد بعد ذلك للقبض عليه وصحبوه معهم فى السيارة وحملوه الى السجن الحربى وقال لى سليم العفيفى :

ـ بعد القاء القبض على صحبونى الى السجن الحربى وساقونى مع غيرى الى ساحة التعذيب أمام مكتب سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية وقتئذ وبدأ الجلادون يمزقون اجسادنا بالسياط وكان الوقت ليلا .. وفجأة رأينا صفوت الروبى جلاد السجن الحربى يسوق أمامه شابا عرفنا أن اسمه محمد عواد يعمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم .. ومن قرية الزوامل بالشرقية تقدم صفوت الروبى من قائد الشرطة العسكرية قائلا فى زهو :

— هذا هو المجرم محمد عواد .. يا افندم ..

فأوقفوا تعذيبنا وساقونا جميعا الى السجن ولم يبقوا الا محمد عواد .. أخذوا يعذبونه ونحن نسمع صراخه .. واستمر تعذيبه يومين وهم يعذبونه فى حضور شمس بدران وحمزة البسيونى ورياض ابراهيم .. ورأيت صفوت الروبى ينزل الى الفسقية ممسكا رأس عواد يخبطها فى حائط الفسقية حتى هشمه. لقد كان عواد صلبا عنيدا تحداهم بايمانه فلم يحصلوا منه على كلمة واحدة فصنعوا به ما صنعوا انتقاما منه وارهابا لغيره وكان تعذيبه أمام عدد كبير من الاخوان الذين كان يحقق معهم فى نفس الوقت .

وقال لى الدكتور محمود عزت ابراهيم :

— لقد رأيت محمد عواد وهم يعذبونه أمام مكاتب التحقيق فى السجن الحربى وكان عواد مجهدا .. لا يقوى على السير ممزق الجسد عاريا الا من سرواله .. لقد طلب منى صفوت الروبى أن أبصق على وجه محمد عواد فرفضت .. لقد ألقوا به فى حوض الفسقية التى كانت أمام مكاتب التحقيق ورأيت صفوت الروبى ينزل بنفسه الى الفسقية ويمسك رأس محمد عواد ويحطمه فى جدران الفسقية ثم أخرجوه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .. لقد استمر ذلك طول الليل وفاضت روحه مع أول ضوء فى صباح الجمعة ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٥ .

وقال لى المهندس طاهر سالم :

— لقد رأيت محمد عواد وهم يعذبونه وهو يتحداهم ان يخرجوا منه كلمة .. كان يعذبه الصاغ رياض ابراهيم والصاغ حسن كفافى وصفوت الروبى .. كانوا يعذبونه بضراوة ويضربونه بقسوة كى يجيبهم على أسئلتهم ويعترف بما يريدون لكنه لم يتكلم ولم يحقق لهم ما أرادوا ، فأحنقهم ذلك عليه فأنزلوه الى الفسقية واغرقوه فيها ونزل العسكرى « خرشوف » وركب على أكتاف عواد وامسك برأسه يغطسه فى الماء حتى حد الموت ويخرجه ويكيل له الصفعات واللكمات .. ثم اخرجوه من الفسقية وهم يتميزون غيظا من صلابته وعناده و « نشوفية دماغه » على حد قولهم .. وزادهم غيظا عندما أخرجوه من الفسقية ورغم شدة اعيائه واشرافه على الموت

افزعه أن الماء أوشك أن يسقط سرواله فتنكشف عورته فأمسك سرواله بيده ورفعه حتى لا تنكشف عورته فانفجروا فيه قائلين : « حتى وأنت فى هذه الحالة .. تتمسك بدينك » !!

وأمسك به صفوت الروبى ونزل به مرة ثانية الى الفسقية بنفسه وأخذ يضرب رأس عواد فى جدار الفسقية حتى هشمه وسالت منه الدماء بغزارة ووقع عواد مغشيا عليه يسبح فى مياه الفسقية التى تلوثت بلون دمه ثم أخرجوه والقوا به على الأرض وقالوا عنه :

ــ انه سافر خلاص .. فعرفت أنه فارق الحياة .

لقد ذهبت الشرطة العسكرية وقبضت بعد ذلك على والده واحضروه الى السجن الحربى رهينة حتى يحضر ابنه الذى هرب من السجن الحربى !! وبقى الوالد فى السجن حتى أفرجوا عنه وأوهموه أن ابنه هرب الى السعودية ..

وبقيت عائلة محمد عواد تصدق كذب الشرطة العسكرية وتظن ان محمد عواد قد هرب حقا ولم تعرف الحقيقة الا بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ عندما انتقلنا الى سجن ليمان طرة وسمح لنا بالزيارة بعد اكثر من عامين .. واثناء احدى الزيارات أخبر واحد من اخوان عواد أهله بأن عوادا استشهد تحت التعذيب ودفن فيمن دفن فى جبل المقطم مع غيره من شهداء مذبحة السجن الحربى .

والذى يعرف الشهيد محمد عواد لا يجد اية غرابة فيما اراده الله له من الشهادة ، فقد كان محمد عواد يتوقع كل ما حدث له وكانت نفسه مهيأة لذلك وكثيرا ما تحدث عن مذبحة السجن الحربى الأولى عام ١٩٥٤ التى أقامها جمال عبد الناصر للاخوان وجعل من « المسرحية » الوهمية التى أطلق عليها حادث المنشية مبررا للقضاء على جماعة الاخوان المسلمين ليحقق هدفا من أهداف نشاط المخابرات الأمريكية فى مصر .

وكان الشهيد محمد عواد وجيله من « أشبال » الاخوان الذين لم يدخلوا محنة سنة ١٩٥٤ ولم ينالهم ما نال اخوان سنة ١٩٥٤ من العذاب الرهيب ولكنهم عرفوا كل الذى حدث عن طريق الآلاف من الذين اعتقلوا عام ١٩٥٤ وخرجوا عام ١٩٥٦ . فرووا لهم

ما شاهدوه من صور المأساة .. وامتلأت نفوس الاخوان باخبار تلك المذبحة وامتلأت نفوس أشبال الاخوان الذين شبوا واصبحوا رجالا أيضا بأخبار تلك المذبحة عزما وثباتا وكانوا يعرفون « الكذبة » الكبيرة التى افتراها جمال عبد الناصر وأجهزته وسماها مؤامرة الاعتداء عليه فى ميدان المنشية بالأسكندرية .

لقد كان هدف جمال عبد الناصر من مذبحة الاخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ هو القضاء على جماعة الاخوان وزرع الخوف فى قلوب الشعب المصرى بصفة عامة واصحاب الاتجاه الاسلامى بصفة خاصة لأنهم وحدهم الذين يملكون القوة والشجاعة فى أن يقولوا للظالم يا ظالم .. وهم وحدهم الذين يقلقون القوى الخفية العالمية التى تطمع فى المنطقة وثرواتها ومصر فى مقدمتها لأن الذى يسيطر على مصر يسيطر على العالم العربى والاسلامى !!

ولكن هل أدت مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٥٤ الغرض من ثروراتها فقضت على جماعة الاخوان وملأت بالخوف قلوب الشعب المصرى ؟! العكس هو الذى حدث فى جيل « أشبال » الاخوان المسلمين الذين أدركوا الجماعة قبل المحنة ورأوا فيها سفينة (نوح) التى أغرقها الظالمون !! لقد امتلأت نفس عواد .. وجيله عزما وتصميما على الصبر والثبات والتضحية فى سبيل بقاء الدعوة حية فى النفوس وكان ايمانهم بربهم حمى لهم من كل خوف وبقيت الدعوة حية فى النفوس وبقى الاخوان تربطهم ببعضهم رابطة الاخوة ويجمع بين قلوبهم الحب حتى فى احلك سنين الظلم .

ولم تكن صلابة الشهيد محمد عواد وثباته وصبره وجلده ومصابرته على مالاقاه من جلاديه وما سلكوه معه فى تعذيبه من أساليب جهنمية فاقت فى وحشيتها وخستها كل ما روته كتب التاريخ بدءا من اضطهاد الرومان للمصريين وانتهاء الى أساليب الشيوعيين التى انحطت الى أسفل الدركات .

لم تكن هذه الصلابة وليدة ساحة التعذيب فى السجن الحربى وانما كانت « عقيدة » فاعلة ومؤثرة تمكنت من قلب الشهيد وملأت قلبه عزما وتصميما وصبرا وثباتا حتى النهاية فاما أن تنفذ طاقة

جلاديه فيغلبهم بصبره دون أن يتمكنوا من الحصول على كلمة ينالون بها من دعوته وجماعته واما أن تنفد ساعات عمره ويفوز هو بالشهادة التى طالما تمناها من الله بصدق .

كان الشهيد عبد الفتاح اسماعيل يحب محمد عواد حبا شديدا .. جلسا يوما يتجاذبان الحديث معا عن الجهاد فى سبيل الله وعن حال المسلمين وحال الدعوة وما نالها وما ينالها . فقال له الشهيد عبد الفتاح اسماعيل :

ــ لا تبتئس يا ابن عواد فقد يمكن الله للمسلمين وتكون أنت ضمن القواد فى دولة الاسلام !!

فانتفض محمد عواد من مكانه وكأن لدغة عقرب أصابته وقال :

ــ ما على هذه الدنيا بايعت ولكن بايعت على أن أرمى برصاصة ها هنا ــ وأشار الى رقبته !!

وجلس يوما مع أمين سعد زميله فى الدراسة والمدرسة يتجاذبان أطراف الحديث حول فضل الاستشهاد فى سبيل الله . فتبسم عواد ابتسامة عريضة لهذا الحديث وقال يمصمص شفتيه متحلبا :

ــ ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من مس القرصة !!

لقد صدق عواد فى طلبه الاستشهاد فصدقه الله واتخذه شهيدا !!

وكان محمد عواد شاعرا ملتزما بعقيدته .. صاغ كلماته حمما أطلقها على الطغاة ، وأيقظ بها جموع الغافلين من الاخوان واستحث هممهم ونعى عليهم « نومهم الكهفى !! » وافسحت مجلة الاعتصام صفحاتها لقصائده فكانت تنشر له فى كل عدد قصيدة كانت بمثابة منشور ثورى .. ولا أدل على ما أقول غير عناوين قصائده التى نشرها .. وهى « صيحة الحق » ونشيد « الحق المنتصر » و « شهيد » و « مصارحة » .. و « تجرد » و « دعوة الاسلام »

ولم يستعمل عواد فى شعره الرمز ولكنه كان واضحا صريحا مواجها الباطل فى عنف .. بل لقد وضع عواد النقط على الحروف فى كثير من قصائده .. ففى قصيدته « مصارحة » التى نشرتها الاعتصام فى عدد المحرم ١٣٨٣ الموافق مايو ١٩٦٤ قال :

عهـــود عـــلى حربنـــا توثق
ومـــال على ضربنـــا ينفــق
وحقـــد يحاك لنـــا فى الظـــلام
فيفضـــحه ومضـــه المبــرق
أينسى الزمان صـــنوف الهـــوان
وســـهم الظنـــون بنـــا يرشق
ولن يقبلوا الشرع فيهـــم صراخا
وشمس حكومتـــه تشـــرق

« وفى قصيدة « دعوة الاســـلام » يعلن الشـــهيد محمد عواد استمساكه بدعوته وعزمه على الوقوف تحت رايتها دائما فيقول » :

يا دعوة الاســـلام لن أنســـاك
لا لن أميـــل على هـــواى هـــواك
لا لن أضـــل وأبتغى معـــوجة
أمشى عليهـــا طارحـــا لهـــداك

ويمضى الشهيد فى قصيدته متغزلا فى دعوته التى يشـــدو فؤاده بحبها ويفيض حنانا وشوقا لهـــا ويعدد أفضالها عليـــه فهى التى غرست فيه العزة والكرامة !! وعرفته كيف يكون شجاعا .

ويستثير الشهيد عواد حماس الدعاة بتذكيرهم بما كانوا عليه بالأمس وما كانت عليه الدعوة وينعى عليهم حالهم وكيف أصبح البعض يخاف من قعقعات سلاح العدو .

ولئن كان الشهيد سيد قطب هو مفكر الحركة الاسلامية فى محنة ١٩٦٥ فان محمد عواد كان شاعرها وحاديها الذى استنهض الهمم والهب عزائم الغافلين والقاعدين والمتخاذلين والمتربصين والمتفلسفين والمتفلتين من الميدان . صاح عواد على صفحات الاعتصام يخاطب الاخـــوان :

اخى طال عهدك بالمرقد
وطال اصطبارك بالحاقد
وطال انتظارك يوم الخلاص
ويوم الكرامة والسؤدد
فهدم فراشك رمز الخمول
وقم للجهاد ولا تقعد
وقم للنضال وخوض القتال
وشمر عن الساق والساعد
ودرب فؤادك دفع المنون
وركز سلاحك فوق اليد
وقبل عيالك قبل المسير
ومنهم بانتصار الغد

وفى قصيدة له بعنوان « حقيقة » يترجم عواد بصدق ودون مبالغة ما انطوت عليه نفسه وما عقد عليه العزم :

كتبنا النصر من دمنا
على أشلاء قتلانا
جعلنا من جماجمنا
لشرع الله بنيانا
بذلنا النفس فى شمم
الى الاسلام قربانا

ويصف محمد عواد صورا من مذبحة السجن الحربى الأولى فى نفس القصيدة فيقول :

عراة من ملابسنا
لنار الحقد تغشانا
فمنا معشر هلكوا
وماتوا تحت مرآنا
ومنا من على نصب
تعانقها وحيانا
سياط الحقد تجعلنا
من التعذيب غربانا

سباع الطير ترقبنا
لتنهش لحم موتانا
قطيع البوم يسمعنا
من الألحان احزانا !! .

ومن بين قصائد عواد التى نشرتها الاعتصام قصيدة بعنوان « شهيد » يصور بها عواد أمنيته العزيزة فى الاستشهاد يقول :

ناداه طيف يا عشيق رحابنا
أو ما تحب بأن تنال الأنعما ؟!
او ما تريد بأن تكون جوارنا
فى جنة الفردوس تحيا طاعما ؟!
هذا ابتلاء كى نميز جندنا
ونرى المنافق فيهم والمسلما
هتف الشهيد بعزة وبسالة
سأخوض أوراد الردى متقدما
سأزود عن صرح الكتاب بعزة
باسم الاله أصول لا باسم الحمى
واذا الشهيد مضرج بدمائه
لمح الخلود بقلبه فتبسما

وفى قصيدة له بعنوان « نجرد » يهتف عواد من أعماق فؤاده :

قمت كى أرضى ضميرى
لن اذل الى حقير
لن أخاف من المنايا
أو أبال بالمصير
لن اضن على كتاب
الله بالمال الوفير
ساجلجل فى الأعادى
والأراذل كالهصور
ان نفونى فى الحرور
فانا نبت الصخور

او ابـوا اكـلى وشـربى
فـانا مثـل النسـور
قوتهـا شىء قليـل
لا تـروم الـى كثـير ! !

كانت آخر قصائد محمد عواد قصيدة بعنوان « الدنيا » نشرها فى يوليو سنة ١٩٦٥ .. اى قبـل استشهاده بحـوالى شـهر قال فيهـا :

وما الدنيـا وان خطـرت دلالا
بمعطيـة لعاشـقها منـالا
فـلا تغـررك ايـام عـذاب
ففى الأيـام أيـام حبـالى
اجنتهـا سـتقذفها هموما
وبهجتهـا ستجعلهـا خيـالا
واكؤسـها ستفرغها سـموما
ومقبحهـا ستنصبه جمـالا
وان بسمت لمغـرور فغـدر
وان أعطتـه شـيئا فالخيـالا
ومن يركن لزخرفهـا يذقهـا
على الأيـام قطـرانا مسـالا
ومن يهجـر لذائذهـا جهـادا
يجـد فى الخـلد جنـات ظـلالا
ومن ينفق لدعـوته متـاعا
يزده اللـه مـكرمة ومـالا ! !

اننى أطلت فى الحديث عن الشهيد محمد عواد . .ولكننى أحس ان عواد اكبر من صفحات توضع فى كتاب .. ان عـواد ملحمة وقصائده التى وضعت يدى عليها خلال العام الذى سبق استشهاده ترسم صورة لذلك الفارس المؤمن الذى صدق الله فصدقه الله وارجو ان أوفق فى جمع ديوان محمد عواد وتسطير حياته كلها .. ففيها نفع كثير لأجيال المستقبل .

الحارس الخاص لجمال عبد الناصر

هـــل كان هدف الاخوان هو اغتيال جمال عبد الناصر انتقاما منه لمـــا فعله بهم سنة ١٩٥٤ ، وقلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة ؟ !

الاجابة على هذا السؤال تحتاج الى اجابة مفصلة .

أولا : اغتيال جمال عبد الناصر وقلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة هي ذات الكذبة التى افتراها جمال عبد الناصر تماما كما افترى كذبة اتهام الاخوان بحريق القاهرة وقد أوضحت فى الفصلين الأوليين من هذا الكتاب حقيقة حادث المنشية وكيف اتخذه جمال عبد الناصر مبررا لتصفية الاخوان المسلمين .. وعلى وجه الخصوص تصفية العناصر القيادية التى يراها خطرة على نظام حكمه .. أو الذين رأى فيهم أعداء الاسلام انهم خطر على مصالحهم! أمثال الشهيد عبد القادر عودة والشهيد محمد فرغلى والشهيد يوسف طلعت .. الذين استشهدوا على أعواد المشانق ســنة ١٩٥٤ والشهيد ســيد قطب والشهيد محمد يوسف هواش والشــهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل الذين استشهدوا أيضــا على أعواد المشانق سنة ١٩٦٥ يقول الشهيد ســيد قطب لصــلاح نصار رئيس النيابة الذى حقق معه : « ان عملية الانتقام عملية تافهة بالنسبة لمستقبل الاسلام وان اقامة النظام الاسلامى تستدعى جهودا

طويلة فى التربية والاعداد وانها لا تجىء عن طريق أحداث انقلاب من القمة .. وانه يجب تربية الأفراد » . « ان قلب نظام الحكم القائم لا يأتى بالاسلام ولا يقيم النظام الاسلامى وأن العقبات فى وجه قيام النظام الاسلامى أكبر بكثير من حكاية نظام الحكم المحلى وأنه يحتاج الى زمن طويل وتمهيد طويل وتربية جيل وأجيال كثيرة » ..

وعندما سأل صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة سيد قطب :

س ــ ما هى أهداف التنظيم فيما اتفقتم عليه بعد اتصالك به ؟

فأجاب الشهيد سيد قطب ..

ــ أولا تربية المجموعات الموجودة فعلا تربية اسلامية كاملة قبل ضم أحد آخر اليهم وبعد ذلك لا قبله يبدأ التوسع فى ضم أفراد آخرين سواء من داخل جماعة الاخوان المسلمين او من خارجها من الراغبين فى العمل للاسلام لتربيتهم على هذا المستوى وفى برنامج طويل المدى ومتروك فيه الزمن بلا حساب يتوصل الى تكوين جيل مسلم او على الأقل قاعدة واسعة يمكن أن يقوم عليها النظام الاسلامى باعتبار أن التربية الاسلامية الأخلاقية لابد أن تسبق النظام وبناء على هذا الفهم بدأت معهم تدريس العقيدة وتاريخها ..

وهذه الحقيقة التى وضعها الشهيد سيد قطب تؤكدها كتبه الكثيرة التى كتبها داخل السجن وأولها كتابه «هذا الدين» وآخرها كتابه « معالم فى الطريق » ..

ثانيا : هناك دليل على ان اغتيال جمال عبد الناصر لم يكن هدفا من أهداف الاخوان .. هذا الدليل هو ان الحارس الخاص لجمال عبد الناصر وهو الشهيد اسماعيل الفيومى كان أحد أعضاء الجماعة ولو أراد الاخوان قتل جمال عبد الناصر لما أفلت من يد اسماعيل الفيومى نشنجى مصر الأول .. واقرب أفراد حرسه الخاص له . لقد بقى اسماعيل الفيومى يحرس جمال عبد الناصر

حتى بعد عمليات القبض على الاخوان المسلمين ولو فكر اسماعيل الفيومى فى اغتيال جمال عبد الناصر لاغتاله بعد القبض على الشهيد سيد قطب يوم ٩ أغسطس ١٩٦٥ .. ولكن لم يحدث .. لأن اغتيال عبد الناصر لم يكن هدفا من أهداف الجماعة .

لقد بلغ الارهاب ذروته فى مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٦٥ وأعلن جمال عبد الناصر نبأ اكتشاف مؤامرة لاغتياله وقلب نظام حكمه من موسكو تقربا وزلفى للزعماء الروس .. ومن موسكو هدد عبد الناصر الاخوان وتوعدهم بالبطش والابادة والسجن مدى الحياة لكل الذين شاركوا فى المؤامرة المزعومة التى دبرت لاغتياله !!

وكانت عمليات القبض قد بدأت قبل اعلانه بأكثر من شهر .. فقد كان الأمر مبيتا .. وكان لابد من أدخال ألاخوان السجون لحاجة فى نفس عبد الناصر .. ومن يحركونه !!

بدأت عمليات القبض على عشرات الآلاف من خيرة شباب مصر .. وفتحت زنازين السجن الحربى وحشر فيها الأبرياء حشرا ونصبت آلات التعذيب فى ساحات السجن الحربى تحوطها الكلاب الجائعة .. والكلاب البشرية المسعورة .. وأحضرت السياط السودانية بطائرة خاصة واصبح السجن الحربى « جهنم » الحمراء كما كان يصفه بعض الجلادين !!

كان الامباشى صفوت الروبى الذى رقى الى رتبة ضابط شرف مكافأة له على ما أزهق من أرواح ومزق بالسوط من أجساد كان يقول مخاطبا .. بعض المعذبين :

ــ اسمع يا ابن الــ .. اذا كان ربنا بتاعكم عنده جهنم فنحن أيضا عندنا جهنم !!

ولم تكن السياط الا مجرد بداية تمزق بها أجساد الضحايا فاذا لم تأت بالنتيجة المرجوة بدأوا باستخدام الاساليب الأخرى .. كاستعمال الصدمات الكهربائية فكان يؤمر الضحية باخراج لسانه ويوضع سلك الكهرباء عليه فيحدث فى الجسم هزة مزلزلة .. وكانت هناك من الوسائل البشعة « الخازوق » وهو عبارة عن دانة مدفع طولها حوالى ٦٠ سنتيمتر لها رأس مدبب وكانوا يأمرون الضحية بالجلوس عليه ويضطرونه على ذلك الجلوس بالضرب بالسياط مما يحدث له تمزقا وشروخا كانت سببا فى آلام رهيبة لا تنتهى الا باجراء عملية جراحية !!

وكان فى ساحات التعذيب حفر طويلة تستخدم كسراديب للحراس . كان يؤتى بالضحية ويلقى فى واحدة من هذه الحفر ثم يهال عليه التراب حتى لا يبقى منه شىء تماما كما يحدث مع الموتى حين يوضعون فى القبور !!

ورغم ضراوة المذبحة ووحشيتها وهمجية الجلادين ولا انسانيتهم كان من بين الشباب الذين عاشوا هذه المأساة صنف استعلى بايمانه فوق العذاب وفضل الموت والخلاص على الانهزام أمام عسف وجبروت الجلادين .. لقد صابر هؤلاء الشباب وصبروا على ما لاقوا من صنوف العذاب والوان الآلام التى لا يستطيع أن يتحملها بشر لكى يدلوا باعترافات زائفة طلبت منهم فرفضوا فى اباء واستمروا يقاومون مستعينين بالله يلوذون بايماتهم حتى اتخذهم الله شهداء وهناك فى جبل المقطم عشرات الجثث قد ووريت تحت التراب ولا أحد يعرف مكانها الآن .. ونشرت الصحافة المصرية وقتئذ أن هؤلاء الذين استشهدوا فى ساحات التعذيب قد هربوا من السجن الحربى وحكم عليهم القضاء الزائف أحكاما غيابية امعانا فى التضليل والكذب .. بل لقد اعتقل الطغاة الأهل والأقارب بحجة أنهم رهينة حتى يحضر الهاربون !!

وكان اسماعيل الفيومى الحارس الخاص لجمال عبد الناصر أحد هؤلاء الشهداء .. بل كان الشهيد الثانى فى مذبحة السجن الحربى لقد جن جنون الطغاة عندما اعترف على عشماوى على اسماعيل الفيومى .. فذهبوا اليه وقبضوا عليه وأحضروه الى

السجن الحربى وكان مفاجأة أذهلتهم وفجرت الغيظ فى قلوبهم لقد خدم اسماعيل الفيومى فى حرس جمال عبد الناصر الخاص ثمانى سنوات ولو أراد قتل عبد الناصر لقتله .. ولكن لم يحدث ..

قال لى زميل الشهيد اسماعيل الفيومى واسمه عبد المنعم وكان يعمل مع اسماعيل الفيومى فى حرس جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٥٨ حتى يوم القبض عليه . .

ـــ أنا زميل الشهيد اسماعيل الفيومى .. كان تجنيدنا واحدا وبعد أن قضينا فترة الجيش التحقنا بالبوليس وخدمنا معا فى قسم الخليفة لمدة ثمانية أشهر ثم طلبنا الى رئاسة الجمهورية وأجرى لنا اختبار مع أكثر من ١٥٠ فردا ونجحنا مع عشرين وكان اسماعيل الفيومى الأول وكنت أنا الثانى .. دربونا ستة اشهر على ضرب النار وكان اسماعيل الفيومى ممتاز فعينوه معلما فى مدرسة ضرب النار وأخذونى انا حراسة فى داخل منزل عبد الناصر وكانت أى سفرية للرئيس نطلع أنا واسماعيل وأثناء وجود الرئيس عبد الناصر فى الاسكندرية نبقى معه أنا والشهيد اسماعيل طول الشهر وكنت أنا أزامل اسماعيل لانه كان رجلا ممتازا فى خلقه فطرته طيبة .. مؤمنا .. متدينا وكنا طول النهار نقرأ القرآن ونتدارسه ..

قبل القبض على اسماعيل بيومين كنا فى القطار الخصوصى فى عربة الرئيس عبد الناصر وكان فى القطار جميع الوزراء .. ثانى يوم قالوا قبضوا على اسماعيل لأنه من الاخوان المسلمين .. وعجبت كيف خفى عنهم أنه من الاخوان المسلمين طوال الثمانى السنوات التى كان يعمل فيها حارسا خاصا لعبد الناصر والمفروض أن المخابرات تكتب عن كل واحد من الحرس تقريرا كل ستة اشهر لقد أحسست أن فى الأمر شيئا غامضا ـــ كنت اظنه اولا انه صراع بين الرئاسات ـــ اقصد رئاسات الأجهزة !!

لقد نشرت الصحف أن اسماعيل الفيومى كان سيغتال عبد الناصر قلت فى نفسى لو أن اسماعيل الفيومى كان ينوى قتل جمال عبدالناصر لقتله قبل القبض عليه بيومين فقط حيث كنت انا وهو فى القطار

المخصوص وكان معى طبنجة وكان مع اسماعيل طبنجة وكان بالقطار جميع الوزراء وكان بالامكان القضاء على جمال عبد الناصر وجميع من معه !! .. ولما نشرت الجرائد أن اسماعيل كان سيضرب عبد الناصر من الخلف انا كنت فى ذهول لأن عبد الناصر كان أمامنا قبل يومين من القبض عليه وكان اسماعيل يستطيع أن يقتله ببساطة .. لقد كنت انا واسماعيل ملازمين لجمال عبد الناصر فى الحراسة وكنا نجلس فى الصف الثانى ونقف منه على بعد خطوات !!

وبعد القبض على اسماعيل انتظرت القبض على انا أيضا لأنى كنت اقرب الناس لاسماعيل وأول من يقبض عليه بعد القبض على اسماعيل .. نزلت مصر وذهبت الى الرئاسة وجدت الجو متغيرا ورأيت وجوها غريبة تتعقبنى عرفت انهم من المخابرات .. وكان لى زميل اسمه (حجازى) يردد دائما أن اسماعيل لن يعترف على أحد غيرى بعد أيام قبض على حجازى هذا ولم يقبض على . فى هذه الفترة اشيع أن اسماعيل هرب من السجن الحربى .. لم أصدق كيف يهرب اسماعيل من السجن الحربى .. أنا قلت اسماعيل لم يهرب اسماعيل مات من التعذيب .. كل زملائى الذين اثق فيهم أمنوا على كلامى وقالوا انه مستحيل أن يهرب أحد من السجن الحربى !!

وفى يوم جاء امر بالقبض على كل واحد فى الحرس الجمهورى اسمه « عبد المنعم » أخذوا كل من اسمه « عبد المنعم » وجمعونا فى عربة وامرونا أن نرتدى الملابس المدنية ثم ذهبوا بنا الى السجن الحربى وعرضونا على أحد بلديات اسماعيل المقبوض عليهم فى السجن الحربى ـــ كنت أظن انى انا المقصود والمطلوب التعرف عليه .. ولكن لم يتعرف على أحد منا .. وفى اليوم التالى أحضرونا أيضا ولكن بالملابس الرسمية وحققوا معى ..

— انت تعرف اسماعيل الفيومى ..

قلت :

— الله يرحمه !! ولم أكمل العبارة انهالوا على بالضرب .
وقالوا لى :

— كيف عرفت انه مات ؟!

قلت :

— كل الناس يقولون انه مات ..

حذرونى من التحدث بهذا الكلام .. وقتها أيقنت أن اسماعيل قد مات !!

سألونى :

— هل اسماعيل كان من الاخوان المسلمين ؟!

قلت :

— المخابرات أولى منى بمعرفة ذلك لانها تكتب عن كل واحد منا تقريرا كل ستة أشهر وتعرف عنا كل صغيرة وكبيرة !!

ويضيف « عبد المنعم » زميل الشهيد اسماعيل الفيومى :

— بعد القبض على اسماعيل الفيومى غير عبد الناصر عددا كبيرا من حرسه فعزل ٣٠٠ عسكرى من الحرس لانهم متدينون كل انسان كان يشعر انه على قدر من التدين أو حتى مجرد أن يذهب الى المسجد يعزله !!

وقال لى الأخ عبد الحميد عفيفى بلديات الشهيد اسماعيل الفيومى :

— قابلت اسماعيل أول مرة فى دورة المياه فى السجن الحربى

وكان هو يسكن الزنزانة ١٤٤ فى يوم رايته نازلا وقد طلبوه للتحقيق جلست أنتظره حتى يرجع .. فرأيته عائدا فى الليل متعبا ماشيا يستند على الحائط وكان لا يرتدى ملابسه التى كان نازلا بها ولكنه يرتدى « أفرول » أزرق لانهم كانوا يمزقون الملابس قبل التعذيب .

وقال لى سليم العفيفى صديق اسماعيل الفيومى وبلدياته :

ــ اسماعيل ابن بلدى عشنا حياتنا مع بعض وعندما قبضوا على سألونى عن اسماعيل وذهبوا ليحضروه .. ثم التقيت به فى السجن الحربى وكان يرتدى بنطلونا والتعذيب ظاهرا عليه وبعد ايام وكان الوقت ليلا رايت الامباشى محمد المراكبى ورايت معه عسكريين يحملان جردلين وقطعة من القماش ودخلوا زنزانة اسماعيل الفيومى وبعد فترة خرجوا منها واطفئت أنوار السجن ونزلوا اسماعيل ملفوفا فى بطانية وحملوه فى عربة وسمعت الروبى باشويش السجن وسفاحه يقول :

ــ جهزوه لاجل نخرجه فى العتمة !!

ويقول على عبد الحميد عفيفى بلديات اسماعيل :

ــ قابلت اسماعيل فى دورة المياة وسلمت عليه وكان سلاما اسودا أخذت بسببه علقة ساخنة ..

وفى اليوم التالى رايتهم يأخذوه الى المكاتب للتحقيق وفى آخر اليوم احضروه مضروبا ممزقا لكنه كان يسير على رجليه ورايته مرة ثانية محمولا على النقالة يحمله الامباشى المراكبى والعسكرى رشاد مغراكه وتكرر نزوله على النقالة ورجوعه وكنت دائما انتظره على باب زنزانتى حيث كنت اسكن فى الزنزانة رقم ١٤٠ وهو يسكن فى الزنزانة ١٤٤ وكنت اراه فى ذهابه وايابه . وآخر مرة رايته فيها وهو ميت كان ذلك بعد العشاء طلع الامباشى محمد المراكبى مع عساكر آخرين من اجل ان يغسلوا الدماء من على ارضية الزنزانة ولفوا اسماعيل فى لفافة بيضاء وحملوه . وكان

صفوت الروبى سفاح السجن الحربى يستعجلهم من تحت .. نزلوا باسماعيل ووضعوه فى المخزن بجوار باب السجن الكبير ثم أطفئت الأنوار وسمعت صوت عربية دخلت الى حوش السجن ووضعوه فيها وخرجت العربية وخرج معها عدد من الحرس يحملون كوريك .. وفأسا ولكن العربية توقفت فجأة واضيئت الأنوار خطأ فرايت العربية وفى الصباح رايت الزنزانة خالية من ساكنها وايقنت أن اسماعيل الفيومى قد استشهد !

اما والد اسماعيل الفيومى فقال لى :

— بعد القبض على اسماعيل بخمسة اشهر جاءنى اثنان من المخبرين وصحبانى الى القسم وادخلانى على مفتش مباحث المطرية وقالا لى « خذ بالك من أولاد اسماعيل .. واذا أحببت أن تسافر الى أى مكان فلابد أن تخبرنا » .

ثم سمعت من الناس خبر موت ابنى بعد أن ذاعت اشاعة هروبه من السجن الحربى .. وحتى الآن لم يصرف لى ولا لأولاده الستة ولا لزوجته أى مكافأة أو معاش وقد أرسلنا الى المسئولين ولكن لم يصلنا رد حتى الآن أما على عبد المجيد الفيومى شقيق اسماعيل فقال لى :

— بعد ما أنهى اسماعيل مدة تجنيده عمل فى بوليس الأقسام ولكنه لم يسترح لأن جو الأقسام كان ملوثا بالرشوة والفساد فتمنى أن يعمل فى بوليس النجدة أو الحرس الجمهورى وكان حظه أن عمل فى الحرس الجمهورى فبدأ فيه منذ سنة ١٩٥٨ وبقى حتى تاريخ اعتقاله فى ١٨ — ٨ — ١٩٦٥ .. فى هذا اليوم جاءه افراد يستدعونه وذهب معهم وحتى يومنا هذا لم نعرف عنه شيئا الا ما قرأناه فى الجرائد عن هروبه وما سمعناه من الناس والاذاعات عن قتله فى السجن الحربى .

لقد اعتقلت خمس سنوات ونصف بدون سبب الا لانى شقيق اسماعيل الفيومى ..

لقد قدمنا بلاغا الى النائب العام وفتح التحقيق حول استشهاد اخي اسماعيل وهنا شهود راوه بعيونهم يعذب حتى فاضت روحه وحمل الى خارج السجن ودفن فى مكان لا نعرفه فهل يرد القضاء الحق الى اصحابه ؟! .. اننا حتى الآن لم نصرف مكافأة أخى ولا معاشه ولم يصرف لأولاده الستة أى مليم والدولة أمرها غريب لقد كان لاسماعيل زميل خرج من الخدمة بعد الافراج عنه وصرف مكافأته .. أما اسماعيل فالدولة لم تصرف له أى شىء !!

عندما نشرت تحقيقا صحفيا حول استشهاد اسماعيل الفيومى فى مجلة الاذاعة والتليفزيون وصلنى خطاب من السيد حامد أحمد يوسف مدير ادارة الشئون العامة بشركة مطابع محرم بك وعضو مجلس محلي محافظة الاسكندرية جاء فيه موجها خطابه للاستاذ ثروت اباظة : —

« بالنسبة لما نشر فى العدد رقم ٢١٣٠ الصادر فى ١٩٧٦/١/١٠ بعنوان الحارس الخاص أول ضحايا مذبحة السجن الحربى . تحقيق جابر رزق رايتنى مشدودا الى كتابة هذه السطور اليكم لأن عندى معلومات شاءت ظروفى معرفتها بشأن هذا الموضوع حيث كنت ضابطا بشرطة مديرية أمن الاسكندرية منذ سنة ١٩٥٥ حتى ١٩٦٧/٩/١٤ وهو تاريخ اعتقالى بمعتقل القلعة بتهمة كاذبة وهى الاشتراك فى اتفاق جنائى لقلب نظام الحكم مع زملاء لى آخرين بشعبة البحث الجنائى بالاسكندرية التى تشرفت بالعمل بها فترة حوالى عشر سنوات وبرأت ساحتى محكمة امن الدولة العليا (دائرة عسكرية) ومكثت بالمعتقل فترة حوالى تسعة أشهر كان فى الزنزانة المجاورة لى حمزة البسيونى الذى كان قد قبض عليه عقب ما قالوا عنه مؤامرة المشير عبد الحكيم عامر ولمستفيه حبه للاطراء على شخصه وحتى يطمئن الى كنت أبدى له اعجابى به فترة أن كان بالسلطة فكان يتباهى دائما بأنه كان الآمر الناهى بالسجن الحربى لا معقب له على ما يراه . وفى احدى مرات الحوار معه سألته عن الشهيد اسماعيل الفيومى ذاكرا له بأننى خلال عملى بالمباحث الجنائية بالاسكندرية وردت لنا نشرة عن مصلحة الأمن العام تفيد هروب المذكور من السجن الحربى وبها صورته . وكنا

نعلم انها مجرد طريقة كانت تلجأ اليها السلطة فى ذلك الوقت لينتشر الخبر شعبيا ويؤيد تضليلهم لجماهير الشعب . فضحك قائلا :

ـ هى الجرائد بتاعتكم مش قالت أنه هـــرب وحتى ظهر فى سويسرا ؟

فقلت له :

ـ كلنا عارفين ان الجرائد بتخضع لاشراف الاتحاد الاشتراكى والسلطة الحاكمة وبالتالى تنشر ما يملى عليها انما الحقيقة غير كده . وأنا مسجون مثلك ولست ضابطا يقوم باستجوابك « يابا اللواء » وكنت دائما أناديه بذلك اللقب !!

فرد بهدوء ودون تفكير :

ـ والله الولد ده أنا برىء من دمه .. فأنا كنت أقضى وقتا سعيدا فى الاسكندرية ولما رجعت وجدته انتهى فقلت لهم يتصرفوا كالعــادة ..

فاستفسرت منه عن كيفية التصرف فقال :

ـ « بسيطة فى فترة الاظلام بعد المغرب تطلع الجثة فى سيارة السجن وتلقى بالجبل الأصفر وتوارى التراب فى أمكنة بعيدة عن أعين الناس وترجع .. وأشكل مجلس تحقيق لرجال القــوة التى كان منوطا بها حراسة زنزانته وأوقع على التحقيق بخصم ١٥ يوم من مرتب المستجوب على الورق بس واركن المحضر ثم أعطيه مكافأة مالية مقابل توقيعه على المحضر ..

وهكذا كانت تكتب نهاية انسان شريف لم يرتكب ذنبا سوى أن شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، مواطن كريم كرمه الله وجعله خليفته على الأرض ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ..

السيد الأديب الكبير .. ثروت أباظة :

هذه الكلمات اسطرها لكم تاركا لسيادتكم ما ترونه فان شئتم نشرها فلكم تحيتى وان لم تشاءوا فلكم خالص شكرى ..

وفقكم الله وهيأ لكم من أمركم رشدا

وتفضلوا تحياتى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا فى ١٩٧٦/١/١٤

امضـــاء

حامد أحمد يوسف

مدير ادارة الشئون العامة بشركة مطابع محرم بك وعضو مجلس محلى محافظة الاسكندرية

ولم ينشر الخطاب بسبب نقل الأستاذ ثروت اباظة الى جريدة الأهرام والأمر بايقاف سلسلة تحقيقات التعذيب بعد أن تحدث عنها رئيس الجمهورية وابدى استياءه منها !!

* * *

الشهيد .. محمد منيب !!

كان الشهيد محمد منيب عبد العزيز .. يعمل امينا لمكتبة كلية العلوم بجامعة اسيوط .. واعطته وظيفته كأمين مكتبة فرصة لأداء الكثير من الخدمات لطلاب الكلية .. بل لطلاب جامعة أسيوط خاصة الطلبة الغرباء عن المدينة .. الذين قد حضروا من قرى ومدن الوجه البحرى للدراسة فى جامعة أسيوط كان هو الذى يرسل نتائج الامتحانات للطلاب البعيدين عن أسيوط وكانوا يتراسلون معه .. ويأنسون اليه ويصادقونه .. يجدون فيه أخا كريما .. ونعم الأخ ..

لقد كانت احدى الرسائل التى وصلت الى محمد منيب عبد العزيز سببا فى تعذيبه حتى الموت .

ويروى الأخ زكريا التوابتى احد الذين عاشوا مع الشهيد محمد منيب عبد العزيز حتى لحظاته الأخيرة .. يقول :

— فى يوم الجمعة ١٩٦٥/٩/١٠ دخلت بنا سيارة الشرطة العسكرية تحمل ما يقرب من عشرين معتقلا الى السجن الحربى .. وعندما دخلنا من البوابة السوداء لهذا المكان الرهيب تعرضنا للكثير من الاهانات من سب وصفع .. وان كان ذلك لا يعد شيئا اذا قيس بما حدث للوافدين الى « باستيل » عبد الناصر فى غير يوم الجمعة حيث تتوقف التحقيقات وتسكت حركة وحوش غابة السجن الحربى لأن يوم الجمعة كان اجازة الجلادين .. وبعد ان انهيت اجراءات تسليمنا وتسلمنا وتفتيشنا وتسلم اماناتنا التى سرقوا بعضها واثبتوا بعضها الاخر .. قادونا الى « المخزن » وهو حجرة واسعة على يمين الداخل من بوابة السجن الكبير وعندما دخلنا المخزن وجدنا بضعة افراد اذكر انهم بين الخمسة والسبعة

منهم دكتور استاذ فى كلية صيدلة وطبيب عظـام اسمه الدكتور ابراهيم عبيد من الاسكندرية وطالب بكالوريوس علوم واثنين من اخوان السويس .. والأخ الشهيد محمد منيب ويعمل أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة أسيوط .. المهم بلغ عددنا فى المخزن ستة وعشرين معتقلا عشنا أياما رهيبة نفترش الأسفلت على بقايا بطاطين ولكن دون غطاء !!

ومنذ اللحظة الأولى لاحظت ان الأخ الشهيد محمد منيب أشد تعرضا للايذاء من كل من زبانية السجن الصغار أمثال « سامبو » فكنا عندما نؤخذ الى دورة المياه صباحا فى مجموعات كان هو أكثرنا تعرضا للضرب .. ففى الذهاب والاياب كان يتعرض للصفع والضرب على اية صورة دون سبب أو حتى مبرر مصطنع كعادتهم ومن سامبو بالذات . وبدأت فى ذلك اليوم فى التعارف معه : عرفت انه امين مكتبة كلية العلوم بجامعة اسيوط ودهشت عندما عرفت انه من الصعيد فقد ظننت من لهجته أنه اما من الشرقية أو من اى اقليم من أقاليم الوجه البحرى التى تتكلم بلهجة قريبة من لهجة الوجه القبلى فقد كان محمد منيب ابيض الوجه .. ملون العينين يميل شعره الى اللون الأشقر الغامق .. وعرفته بنفسى واننى اسكن قرية مجاورة للمحلة الكبرى .. ووظيفتى ، وبدأت أسأله عن بعض الطلاب من قريتنا بكلية العلوم بجامعة اسيوط ، وكانت مفاجأة لى أن وجدته يعرفهم جيدا .. وزاد هذا من تقاربنا وقد هيأت محنتنا .. وتجاورنا فى المكان ومعرفته لأبناء قريتى وأصدقائى لذلك كله ..

فى اليوم التالى السبت ١٩٦٥/٩/١١ لم يكن قد بدأ التحقيق معه بعد ، ونودى على البعض من اخوان المحلة الكبرى ، ثم ما لبث ان استدعى الأخ شمس الدين السندى . والأخ الشهيد محمد منيب .. وعاد اخوان المحلة وقد ضربوا وبدت آثار التعذيب على أيديهم خاصة وأبدانهم بصفة عامة .. ولكنهم كانوا يمشون على اقدامهم ثم فى وقت متأخر لا أذكر ان كان قبل العصر أم بعده جىء بالأخ شمس الدين والأخ الشهيد محمد منيب فى حالة يرثى لها يسوقهما جنود السجن فى فظاظة مع صفع وضرب بالأيدى — كان كل من الأخوين قد عذب تعذيبا مبرحا ينذر بخطر جسيم على حياتهما ورغم أن البعض من أفراد مجموعة المحلة الذين عادوا قبلهما وعلى

أجسادهم آثار الضرب بالكرباج ورغم ما قالوه من وحشية وبشاعة ما يجرى فى مكاتب التحقيق التى يجريها شمس بدران وأعوانه من أمثال حسن كفافى ورياض ابراهيم واحسان العاجاتى وغيرهم من زبانية عبد الناصر فلم نتصور أن يبلغ حد التعذيب هذا القدر المميت، وأيضا وضح أمامنا الطريق والمصير قبل أن يحقق مع أكثرنا .. أخذت أجالد نفسى فى تفحصى جسد الأخ الشـــهيد محمد منيب . كنت مصرا على تسجيل تلك البشاعة فى ذاكرتى .. كانت كفاه ويداه كلها وساعداه الى ما بعد المرفق كتلة مشوهة لا أثر فيها للصـــورة السليمة التى خلقنا الله عليها ، وكانت قدماه وساقاه الى ما بعـــد الركبة على نفس الصورة من التشوه الكامل ، وكأن كمية الضرب بالكرباج يمكن أن تكون عددا غير محدود ، فبدا موضع الضرب فى كثير من الأماكن غائرا وكأن الكرابيج كانت تتوالى على الموضـــع الواحد فتنثر لحمه ودمه حتى تعمق تلك الجروح حتى لتوشك عظامه على الظهور مجردة مما يكسوها ، وفى مختلف بدنه كانت تتناثر مثل هذه الآثار ، ولكن التركيز على تلك المواضع التى ذكرت ، ولاحظت عند نقله ووضعه فى مكانه الى جوارى وفى حالات تصـــحيح وضع نومه أنه يتألم من أماكن فى ظهره وضلوعه وكأنها دكت دكا بلكمات أو مثل ذلك ، وكانت جروحه البشعة قد تأكسد الدم فيها فمالت الى السواد ، وقد سارع الدكتور ابراهيم عبيد باخراج « روب » أحمر قاتم وغطى به جسد الأخ الشهيد منيب الذى بقى بالفانلة والكلسون لتعذر الباسه بدلته التى خلعها عند التحقيق معه كشأنهم عند التحقيق والتعـــذيب ، وكان تعـــذيب الأخ شمس الدين على مستوى قريب من تعذيب الأخ منيب وان لم يكن فى حجمه ، وانحنيت على الأخ الشهيد محمد منيب احاول فهم شىء منه متسائلا .. لم كل ذلك ؟

وتمتم من خلال آلامه .. وجدوا خطابا معى عند اعتقالى به بعض عبارات تحتاج لتفسير ، ومعرفة مرسل هذا الخطاب لأنه وقع توقيعا غير واضح .. فذكرت لهم أننى فى الجامعة يقصدنى الطلاب من أبناء الوجه البحرى لأرسل لهم نتائجهم بعد الامتحان توفيرا لمشقة الطريق والمصاريف ، وبعضهم يرسل لى يشكرنى ، وهذا امر شائع ومعلوم عنى فى الكلية ويجرى ذلك مع اعداد كبيرة لا تربطنى بهم صلة شخصية او صداقات مستمرة ، لذلك لا أعرف اسماء اكثرهم ..

والعبارة التى وردت فى الخطاب المذكور بعد بعض التحايا والثناء والشكر وهى « خد بالك من الكتاكيت » .. هذا المضمون الذى ذكرته استخلصته بصعوبة أنا والدكتور ابراهيم عبيد من الشهيد منيب بسبب حالته المؤلمة ، وقد نصحه الدكتور ابراهيم عبيد أن كان لديه شىء أن يقوله لهم ، لأنهم لن يتركوه وذلك حرصا على حياته ، فنفى علمه بشىء عنها وعن مرسل الخطاب تماما ..

وحاول الاخوان الاستفسار من الدكتور ابراهيم عن مدى خطورة حالته باعتباره طبيبا ، ولكنه تكلم كلاما مبهما محاولا بث الطمأنينة ولزم الصمت عن ذلك وشغل برعاية الأخ الشهيد منيب ومتابعة حالته ، وقد حاولت بدورى أن أستفسره عن حالة الأخ منيب فكان يجيب اجابات عامة غير محددة ، والأخ الدكتور ابراهيم عبيد سبق اعتقاله عام ١٩٥٤ ويعرف كيف تسير الأمور فى الحربى ولذلك حضر ومعه حقيبة كبيرة مليئة بملابس صيفية وشتوية منها ذلك « الروب » الذى غطى به جسد الشهيد منيب سترا له ولجروحه حماية لها من الذباب الذى غزا المكان بكثرة ..

وران الصمت أكثر مما كان ، وامتنع ذلك الهمس الذى كنا نجرى به أحاديثنا القليلة فى ذلك المكان ، وشغلنا برعاية الأخوين شمس الدين ومنيب ، والتخفيف عنهما ومحاولة اطعامهما أو تسكين تأوهاتهما وتوجعاتهما ، وفى اليوم الثالث أدهشنا مجيئهم فى طلب الأخ الشهيد محمد منيب ، فقد قدرنا انه لا يصلح لمجرد الكلام معه ، وأنه ليس فى جسمه ما يمكن أن يصلح لمجرد اللمس .. جاء الجنود وامتدت أيديهم اليه بالصفع لأنه لا يستطيع المشى من مكانه الى مكاتب التحقيق أو حتى لمسافة متر واحد ، فقد كانت حالته بالغة السوء ، ولم نكن نتصور أن تبلغ الوحشية بالبشر وسوء التقدير والعمى أن يتناول هؤلاء الجنود الأخ منيب بحالته تلك بالصفع والضرب ، هؤلاء الجنود الذين جندوا فى خدمة جيش يصد عن وطنه الغزاة ويحمى الذمار انقلبوا الى جلادين يمسكون بكرابيج يتناولوننا بها فى وحشية اثارت أحد اليهود المعتقلين بالسجن الحربى أثناء نكبة أو خيانة يونية ١٩٦٧ فثار فى وجوههم معترضا فى غضب ..

اخيرا لم يجد هؤلاء الوحوش الصغار من جنود السجن الحربى مفرا من حمل الأخ منيب فى بطانية امسكوا بأطرافها وذهبوا به

الى مكاتب التحقيق ، وخلال ذلك الوقت كنت أفكر فى هذا الأخ الصديق اخا المحنة والمصير ، واخا الغاية ورفيق الطريق .. اخذت استعرض أمسه الدامى ، وجروحه وأوجاعه ، ونوبات الغفوة التى كانت تنتابه فلا تستمر الا دقائق ليفيق منها وكأنها اغمــاءة وليست غفوة ، يتخلل ذلك نوع من الهذيان فأسمع كلمات مبهمة نحو : « النتيجة ستعلن فى ٢٣ يوليو » وغير ذلك مما لا تعيــه الذاكرة الآن ، مرت ساعة او أقل قليلا وانا على ذلك الحال ثم يفتح باب المخزن ، وأفيق من خواطرى والوحوش الصغيرة تلقى الينا بالأخ الشهيد محمد منيب داخل البطانية ، ودهشنا جميعا للسرعة التى أعيد به الينا مرة أخرى .. وعندما حملناه الى مكانه لم يكن يحس آلاما كثيرة او كادت تكون معدومة ، والمدهش والموجع معــا أن يعود الينا مضروبا مرة أخرى .. كيف عرفت ذلك ؟

تلك الجروح التى جفت وقد أسود لونها عادت تنزف دما فى مواضع من جسده ما زال أحمرا قانيا .. أيمكن أن يحدث هذا ؟ !

نعم .. نعم حدث ذلك فى السجن الحربى وفى سبتمبر ١٩٦٥ ، ولم أملك الا أن اتطلع الى السماء من خلال تلك النــافذة التى أقف أمامها فى تلك اللحظة .. الله يعلم ويرى ومصيرنا بين يديه ، ومضى وقت قصير أقل من ساعة أيضا كنا نرقب فيها الأخ الشهيد محمد منيب فى انتظار تلك اللحظة ، لم يجرؤ أحد على التســاؤل الا من نظرات نلقيها على الأخ محمد منيب ثم ننتقل بها الى وجه الدكتور ابراهيم عبيد ، كان الأخ منيب قد كف عن التوجع تماما ، وقبل نهاية تلك الساعة كان صغار وحوش غابة الحربى يفتحون باب المخزن فى عنف دون أن نستدعيهم ، وفى البطانية سجى جسد الشهيد محمد منيب ملفوفا بذلك « الروب » بينما يعالج سكرات الموت ، وخرجوا هذه المرة ولم يعودوا به مرة أخرى ..

من نافذة المخزن الذى يقع فى مواجهة مبنى العيادة تقريبا رآهم بعضنا وهم يدخلون به اليها ، ولعله لم يبلغ العيادة حيا .. فقد كان الشهيد محمد منيب على حافة الشهادة ان لم يكن قد ولج ارضها المباركة باحدى قدميه فعلا خلال تلك الدقائق منذ خروجه الى مبنى العيادة ، وحيث تحمل أجساد الشهداء بعد ذلك الى رمال الجبل فى مواجهة السجن ، ثم يدون أمام اسمه فى السجلات كلمــة واحدة .. هارب !!

ويقول الأخ المهندس طاهر سالم .. وكان وقتئذ طالبا بكلية هندسة جامعة أسيوط واحد أصدقاء الشهيد محمد منيب ..

ـ كان محمد منيب عبد العزيز امينا لمكتبة كلية العلوم ـ جامعة أسيوط وكان دمث الخلق محبوبا من كل الطلاب الذين يترددون على المكتبة ومن أساتذة الكلية .. لقد رأيت محمد منيب فى السجن الحربى وهو يعذب فى مكتب حسن كفافى والرائد عاصم العتر وصفوت الروبى .. لقد علقوه من يديه ورجليه واخذوا يمزقون جسده بالسياط حتى اذا ما أغمى عليه أفاقوه ثم يوقفونه ويرغمونه على الجرى فى دائرة يحوطها الجلادون الذين يصفعونه ويركلونه حتى يسقط من شدة الاعياء فينهضونه بالسياط ويعيدون معه الكرة .. لقد كان الموت انقاذا له من جحيم العذاب !!

وقال المهندس فاروق الصاوى :

ـ أمر حسن كفافى بتعذيب الشهيد محمد منيب حتى سالت الدماء من ساقيه وفى اليوم التالى استدعاه حسن كفافى وضربه على جروحه بقسوة وأمر صفوت الروبى والعسكرى الأسود على عبد الله .. وعبد المحسن أحد رجال المباحث العسكرية بضربه فانهالوا عليه ضربا .. وكان حسن كفافى يصرخ فى محمد منيب قائلا له :

ـ اعترف أحسن أموتك .. من هم زملاءك فى التنظيم !! من هم اعضاء أسرتك ؟ ! من هم « الكتاكيت » الصغار الذى يوصيك بهم أحد أصدقائك فى احدى الرسائل التى أرسلها اليك ..

لقد كانت العبارة التى عذب من أجلها الشهيد محمد منيب حتى لقى ربه هى : خلى بالك من « الكتاكيت » .. جاءت فى رسالة من رسائل أحد أصدقاء الشهيد وعندما اشتكى والد الشهيد محمد منيب الى مكتب جمال عبد الناصر يسأله مصير ابنه وكان « منير حافظ » أحد الذين يعملون فى مكتب جمال عبد الناصر .. فأرسل يستفسر من الشرطة العسكرية فردت عليه .. انه بعد اعتقاله بأسبوعين ارسل السجن الحربى للمباحث يخطرها بأنه تمكن من الهروب اثناء التحقيق معه !!

شهيد كفر شكر !!

لم تكن المصيبة التى تلحق بأسرة كل من استشهد فى السجن الحربى .. أو فى أى سجن آخر تقف عند حد فقد الشهيد ولكن أقسى من فقدان الشخص هو اتهامه بأنه قد هرب من السجن لأن معنى هذا الهروب ان تضيع كل مستحقاته فى المكافأة أو المعاش .. وتضيع بذلك الأسرة كلها الزوجة والأولاد !! وهذا ما حدث لجميع الأسر التى فقدت رجلها .. حدث لأسرة الشهيد محمد عواد .. وحدث لأسرة الشهيد اسماعيل الفيومى .. وحدث لأسرة الشهيد محمد على عبد الله شهيد كفر شكر الذى سأروى لك قصة استشهاده .. وهنا يصدق المثل الشعبى على هؤلاء الاخوة الشهداء الذى يقول : « موت .. وخراب ديار » !!

والشهيد محمد على عبد الله كان يعمل مدرسا بمدرسة كفر شكر بلد زكريا محيى الدين صاحب مذبحة سجن طرة التى راح ضحيتها ٢٦ شهيدا من الاخوان .

كان عمر شهيدنا محمد على عبد الله ٤٨ سنة .. وله ثلاثة اولاد وزوجة ..

لقد قبضوا عليه يوم ٣١ اغسطس سنة ١٩٦٥ وذهبوا به الى سجن بنها وبقى أربعة أيام عاد بعدها الى منزله وهو — كما تقول زوجته — فى حالة سيئة جدا عندما خلع ملابسه ورأيت جسمه كله باين عليه آثار الضرب بالكرابيج .. وكان متسلخا .. وملابسه لاصقة بجروحه .. ولما سألته :

— من الذى ضربك هكذا ؟ !

اجاب :

— عذبونى كى يرغمونى على أن اعترف على حاجات انا لم أعملها لقد أتهمونى بأنى من الاخوان المسلمين . .

ولم يبق الشهيد محمد على عبد الله فى منزله اكثر من اربعة أيام حتى حضر اليه من أخذه مرة ثانية ولكن هذه المرة ذهبوا به الى السجن الحربى . . ولم يعد حتى اليوم .

ويقول على حسن عبد الله . . ابن عم الشهيد محمد على عبد الله . .

عندما عرفت من أولاد عمى خبر عودة ابن عمى الى بيته توجهت اليه ووجدته مجهدا ولا يستطيع الجلوس ويتألم الما شديدا فسألته عن السبب فقال لى :

— لقد أخذونى لانى متهم بأني من الاخوان المسلمين وذهبوا بى الى مكتب مباحث شبرا الخيمة وهناك عذبونى كى أدلى بأقوال تثبت أننى من الاخوان المسلمين . .

لقد عذبوه بالضرب بالكرابيج . . وانهم ربطوه وعلقوه ووضعوه فى براميل مياه . .

وبقى ابن عمى أياما قليلة فى بيته ثم القى القبض عليه مرة ثانية فذهبت الى ضابط مباحث المركز وسألته عليه فقال لى :

— لا تسأل عنه . . وهو بكره سيأتى . .

ولكنه لم يعد . . وبعد حوالى عشرين أو ٢٥ يوما « المخربين » فى المركز سألونى عن ابن عمى — وقالوا لى :

— هو ابن عمك لم يأت ؟ . .

قلت لهم :

— لا . . لم يأت ابن عمى !!

فقالوا لى :

ـ انه هرب من السجن الحربى وان النشرة الجنائية تقول هكذا .. فأخذت منهم النشرة ولقيت فيها مكتوب ان ابن عمى هرب. ولما قال لى المخبرون ما قالوا لم اصدق هذا لأن عمى كان مجهدا جدا عندما رأيته يوم ١٩٦٥/٩/٤ عندما افرج عنه فى المرة الأولى ولا يستطيع أن يهرب .. وتذكرت ما قاله لى ابن عمى من أن هناك ناس كانت تعذب ولما يموت الواحد منهم من التعذيب يقولون عنه انه قد هرب ..

وروى الأخ كمال خالد ابراهيم الذى كان يسكن مع الشهيد محمد على عبد الله فى زنزانة واحدة هو والأخ محمد عاطف شاهين والأخ يوسف فرج والأخ على سبيع .. يقول كمال :

ـ لقد كنت معتقلا فى زنزانة واحدة مع الشهيد محمد على عبد الله بالسجن الكبير فى الزنزانة ٩٩ مع الاخوة على سبيع .. وعاطف شاهين ويوسف فرج وقد تعارفنا جميعا على بعض وبقى الشهيد محمد على عبد الله معنا حوالى عشرة أيام تعرفت عليه خلالها وعرفت انه كان متهما بأنه من الاخوان المسلمين وحدثنى انهم قد اعتقلوه مدة بسيطة ثم أفرجوا عنه وبعد الافراج بيومين او ثلاثة قبضوا عليه مرة ثانية وأحضروه الى السجن الحربى بالقاهرة .

وقد ادخل علينا الزنزانة خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ .. وفى أحد الأيام جاء أحد الحراس ونادى على اسمه وقال له :

ـ انت مطلوب للاستجواب !

واخذه .. وذهب به الى التحقيق .. عاد لنا بعد ساعة ورأيت رجليه كلها متشرحة داير مايدور وباين عليهما آثار ضرب بالكرابيج وتنزف دما فسألته :

ـ ايه الحكاية ؟ !

فقال :

— ان العسكرى اخذه للاستجواب وذهب به الى مكتب واحد ضابط اسمه حسن كفافى وكان الضابط يقول له :

— تكلم :

فكان يرد على الضابط حسن كفافى ويقول :

— انا ما عنديش كلام ..

ولما رفض أن يتكلم قام حسن كفافى وأمر العساكر فكتفوه وعلقوه وضربوه بالسياط .. ولما اشتد عليه الضرب قال لحسن كفافى :

— يا بيه ارحمنى .. !!

فرد عليه حسن كفافى وقال له :

— لو فتحت صدرى ما تلاقيش فيه قلب !

واستمر العساكر يضربونه حتى مزقوه .. ثم اعادوه الينا فى الزنزانة .. وقد حكى لي الشهيد قصة تعذيبه .. وبعد حوالى ثلاثة أيام كانت ساقاه تزدادان سوءا .. وتورم أكثر وتغير لونها بعد أن كانت حمراء من الضرب ازرقت .. وبدات تنتابه حالات صرع يتشنج فيها ويفقد وعيه وكنا ندق على باب الزنزانة علشان يأتى أحد ويلحقه أو يذهبون به الى المستشفى ويعملون له اللازم .. كان الكلام ده ليلا .. وجاء أحد الحراس وقال لا يوجد احد فى المستشفى الآن .. غدا صباحا .. نذهب به .. وبقى الشهيد محمد على عبد الله فاقد الوعى طول الليل وبين الحين والحين يصدر منه أنين .. وفى الصباح حضر أحدا العساكر وقال لنا :

— هاتوا الولد اللى عندكم !!

فحملته أنا وأحد زملائى فى الزنزانة وهبطنا به السلم وسلمناه لأحد العساكر ويعمل تمرجيا وكان يوجد سرير فى الحوش بجوار فسقية الماء فقال لنا :

ـ ضعوه على السرير ..

فوضعناه على السرير جالسا .. وعندما جلس على السرير شهق شهقة ووقع على السرير .. ومات !!

وعندها أمرنا العساكر للخلف در .. ودرنا بالخطوة السريعة الى الزنزانة ولا نعرف ماذا حدث بعد ذلك ولكن العساكر حضروا وأخذوا مهماته ولا أعرف أين ذهبوا بها .

أما الأخ على سبيع فيقول :

عندما عاد الشهيد محمد على عبد الله من التحقيق كان مجهدا وكان مصابا فى رجليه وساقيه وملابسه غرقانه دم وكانت رجليه بالذات متشرحة وعلامات الكرابيج عليها وكان فيه اصابات فى بقية جسمه ولكن الاصابات التى كانت ملفتة للنظر كانت فى رجليه وساقيه وكان يتألم ويطلب ماء ليشرب .. والتففنا حوله أنا ومن معى فى الزنزانة وقد قال لى الشهيد أن حسن كفافى قال له لازم تعترف وتقول على نشاطك الاخوانى وعلى التنظيم اللى هو فيه .. فلما قال له : انه من بلد زكريا محيى الدين وما يقدرش يقوم بنشاط اخوانى ضربه حسن كفافى بالكرباج وقال للعساكر علقوه فى الفلكة واضربوه بالكرابيج لغاية ما يعترف وبقى حوالى ثلاثة أيام تقريبا وكان يريد أن يشرب ماء على طول واستمرت رجلاه فى التورم ولونهما تغير وبدأ يغمى عليه .. وكنا نفوقه .. ولكن بعد ثلاثة أيام فقد وعيه ولم يفق هذه المرة فخبطنا على باب الزنزانة لكى يحضر الينا عسكرى كى يأخذوه للعلاج وأخيرا فتحوا باب الزنزانة وقالوا لنا : شيلوه فحملته أنا وكمال خالد ويوسف فرج ومشينا به فى السجن الكبير لغاية ما نزلنا فى حوش السجن حتى وضعناه على سرير جوار الفسقية التى نملأ منها الماء ولما وضعناه على هذا السرير وأردنا اجلاسه عليه لم يستطع الجلوس ووقع منا على السرير ونظرت فى وجهه فوجدته قد مات ولون وجهه تغير ولم نجد فيه نفسا ..

وأعادنا العساكر الى الزنزانة وعندما أغلقوا علينا باب الزنزانة وقفت أنظر من نظارة باب الزنزانة رقم ٩٩ وكانت تكشف كل من

فى حوش السجن ورأيت جاويش البوابة نجم مشهور يهز محمد على عبد الله وهو على السرير علشان يتحرك ولكنه لم يتحرك لانه كان ميتا .. فأمر نجم العساكر باحضار بطانية ولفوا فيها جثة الشهيد محمد على عبد الله ووضعوها فى زنزانة فى الدور الأرضى من السجن .. وحضروا واخذوا جميع ملابسه من زنزانتنا وسمعنا بعد ذلك انه دفن بمعرفة ناس من السجن الحربى ولكن لا اعرف مكان دفن الجثة ولا من هم الذين دفنوه !!

ويقول الأخ عاطف شاهين :

خرج محمد على عبد الله من الزنزانة وهو فى حالة طبيعية ورجع بعد ساعات من نفس اليوم وهو عاجز عن المشى ومصابا فى رجليه وساقيه .. وظلت حالته تسوء وأخذت ساقاه وقدماه تتورمان ويتغير لونهما الى اللون الأزرق وكان يطلب ماء بصفة مستديمة واعترته حالات تشنج واغماء وظل على هذا النحو ثلاثة أيام ودققنا على باب الزنزانة لكى يلحقوه ويسعفوه وفى صباح أحد الأيام سمحوا بنقله فقام الأخ كمال خالد ويوسف فرج وعلى سبيع بحمل الشهيد محمد على عبد الله ونزلوا به وعندما حملوه كان فى النزع الأخير فاقد النطق لا يتحرك وعيناه مفتوحتان متصلبتان !!

ويقول عاطف :

ـــ ظل محمد على عبد الله ينزف .. وبدأ يفقد الحركة والنطق مع التشنج .. ولقد قمت انا بنفسى بتلقينه الشهادة عندما أيقنت أنه فى الغرغرة وقام زملائى الثلاثة بحمله الى فناء السجن وعادوا بعد ذلك وقالوا لى أنه قد مات أثناء وضعهم له على السرير .

هكذا انتهت حياة الشهيد محمد على عبد الله .. واقسى من فقد أسرته له .. ان الدولة اعتبرته هاربا .. بل ولا زالت تعتبره كذلك .. ولم تحصل أسرته على معاش سوى اثنى عشر جنيها عاشت بها طوال تلك السنين !!

* * *

انتهى الكتاب الأول .. وقريبا ـــ ان شاء الله ـــ يكون بين يديك الكتاب الثانى وهو : « غسيل .. المخ .. أو التعذيب الجماعى للاخوان المسلمين » ..

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الاهـــداء	٥
مقـــدمة	٧
الفصل الأول : لماذا ادخل الاخوان السجون والمعتقلات ؟	٩
تمثيلية حادث المنشـــية	١١
الفصل الثانى : لماذا كانت مذبحة السجن الحربى ١٩٦٥ ؟	٣٣
شهادة وزير الداخلية	٤٠
المجرم الحقيقى	٥٠
الفصل الثالث : ماساة كرداسة	٥٣
كيف بدأت المأســاة	٦٠
الاستعراض الرهيب	٦٨
الفصل الرابع : النساء رهائن فى السجن الحــربى	٧٣
قصة الحاجة أم أحمد	٧٧
أم مجدى زوجة الحاج عباس	٨٤
الحدث الذى أزعج الناصريين	٨٧
عبد الناصر يشاهد التعـذيب	٩٣
دفاع هزيل عن عبد النــاصر	٩٨
الفصل الخامس : أمام بوابة السجن الحربى	١٠٥
الحربى شونة أحمد راسخ	١١١
فى ساحات التعذيب	١٢٧
آل قطب فى السجن الحربى	١٤٠
الشهيد محمد يوسف هواش	١٤٧
الشهيد عبد الفتاح عبده اسماعيل	١٥٣
محمد عواد .. أول الشهداء	١٥٨
الحارس الخاص لجمال عبد الناصر	١٦٧
الشهيد محمد منيب	١٧٩
شهيد كفر شـــكر	١٨٥

يصدر الجزء الثاني من

قريبا إن شاء الله

مذابح الإخوان في سجون ناصر

عبد الناصر.. وغسيل مخ الإخوان

رقم الايداع ٢٥٤٢ / ٧٨
الترقيم الدولى ٢-٢-٠-٧٣٠١ ISBN

مطابع الأهـرام التجارية